الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي- الأغواط

كلية العلوم الإسلامية والحضارة

قسم أصول الدين واللُّغة والحضارة

مُحَاضَرَاتٌ فِي

الحِجَاجِيَّات

تأليف

البخاري السِّباعي

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ/2025-2026

بسم الله الرحمن الرحيم

تصور عام للمقياس

تقديم المقياس

يُعنى مقياس **الحجاجيات** بدراســـة آليات الإقناع والتأثير في الخطاب الإنســـاني، من خلال تحليل البنى الحجاجية اللغوية والمنطقية والبلاغية التي يوظفها المتكلم لحمل المتلقي على الاقتناع بأطروحة معينة أو تعديل موقفه الفكري. ويســـتند المقياس إلى تراث فلســـفي وبلاغي ممتد من الفكر اليوناني القديم إلى النظريات اللســـانية والمعرفية المعاصـــرة، مع إيلاء عناية خاصـــة للتراث العربي الإســـلامي والخطاب القرآني بوصفه نموذجًا حجاجيًا متميزًا.

الأهداف التعليمية

- تمكين الطالب من فهم الأسس النظرية والمفاهيمية للحجاجيات عبر العصور.
- إكساب الطالب القدرة على التمييز بين المقاربات المختلفة للحجاج (المنطقية، البلاغية، اللسانية، المعرفية).
- تدريب الطالب على تحليل الآليات الحجاجية في الخطابات المتنوعة.
- تعريف الطالب بالخصـــوصـــية الحجاجية للنص القرآني على المســـتويات المعجمية والتركيبية والتصويرية.
- تطوير الملكة النقدية والتحليلية لدى الطالب في مقاربة النصوص الحجاجية.

الكفاءات المنتظرة

بنهاية المقياس، يُتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على:

1. تحديد المفاهيم الأساسية في الحجاجيات وتوظيفها توظيفًا دقيقًا.
2. تتبع التطور التاريخي للفكر الحجاجي من أرسطو إلى النظريات المعاصرة.
3. تحليل الخطابات الحجاجية باستخدام أدوات منهجية متعددة.
4. الكشف عن الآليات الحجاجية في النص القرآني وتفسير وظائفها التداولية.
5. إنتاج دراسات تحليلية معمقة للظواهر الحجاجية في نصوص متنوعة.

المحاضرة الأولى: الأسس النظرية للحجاجيات

مقدمة

تمثل الحجاجيات حقلًا معرفيًا متعدد الأبعاد، يتقاطع فيه المنطق بالبلاغة، واللسانيات بالفلسفة، والتداوليات بالعلوم المعرفية. وتسعى هذه المحاضرة إلى تقديم الأسس النظرية والمفاهيمية للحجاجيات، من خلال الإجابة عن أسئلة محورية: ما الحجاج؟ وما الفرق بينه وبين البرهان والإقناع؟ وما هي المكونات الأساسية للعملية الحجاجية؟

إن الإجابة عن هذه الإشكاليات تتطلب رصد التحولات الدلالية للمصطلح لغة واصطلاحاً، وتحديد مجاله المعرفي، والوقوف على المبادئ النظرية التي تحكمه.

المبحث الأول: تعريف الحجاج ومفهومه

التعريف اللغوي والاصطلاحي

يُشتق الحجاج لغةً من الفعل "حاجّ" بمعنى غلب بالحجة، والحجة هي الدليل والبرهان. جاء في *لسان العرب* أن الحُجّة هي «البرهان، وقد حاجَّه فحجَّه إذا غلبه بالحجة».[1]

أولاً: المقاربة اللغوية لمفهوم الحجاج

1. في المعاجم العربية:

يعود أصل "الحجاج" في اللسان العربي إلى الجذر الثلاثي (ح ج ج)، وقد وردت له دلالات متعددة في المعاجم العربية القديمة:

ابن منظور في "لسان العرب": "الحُجَّة: البرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُفع به الخصم، وحاجَّه مُحاجَّة وحِجاجاً: نازعه الحُجَّة. وحجَّه يحُجُّه حجّاً: غلبه على حُجَّته، فهو محجوج. والتحاجُّ: التخاصم. وحاجَجْتُه حتى حَجَجْتُه أي: غلبته بالحُجج التي أدليت بها. والحِجاج: الجدل".

الجوهري في "الصحاح:" "حَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبه. والمحجة: جادة الطريق، سميت بذلك لأنها موضع الحُجة والقصد".

الفيروزآبادي في "القاموس المحيط:" "الحُجَّة: الدليل والبرهان، وما يُحتَجّ به".

الراغب الأصفهاني في "المفردات في غريب القرآن": "الحَجّ: القصد إلى من يعظم، والحُجَّة: الدلالة المبينة للمحجَّة أي المقصد المستقيم، ومنه قيل للأدلة المقنعة حُجج، لكونها تقصد بها المحجة أي الطريق المستقيم".

من خلال هذه التعريفات المعجمية، نستخلص الحقول الدلالية التالية:

- **الغلبة والقهر** :حجّه أي غلبه.
- **البرهان والدليل** :الحُجَّة ما يُدفع به الخصم.
- **المجادلة والمخاصمة** :حاجَّه أي جادله.
- **القصد والطريق المستقيم** :المحجة.

2. في المعاجم الغربية:

في اللاتينية:

- يعود مصطلح Argumentation إلى الفعل اللاتيني "Arguere" بمعنى: يُبرهن، يُثبت، يُوضّح، يُظهر.

في الإنجليزية:

- Argument: حُجَّة، برهان، دليل.
- Argumentation: عملية تقديم الحجج والبراهين.

في الفرنسية:

- Argumentation: مجموع التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو زيادة التصديق بأطروحة مقدمة.

ثانياً: المقاربة الاصطلاحية

1. التعريفات الكلاسيكية:

أرسطو (384-322 ق.م) :يُعرّف الحجاج في كتابه "الخطابة (Rhetoric) "بأنه: "القدرة على اكتشاف الوسائل الممكنة للإقناع في كل مسألة من المسائل (On Rhetoric, Book I, Chapter 2) ".

شيشرون (106-43 ق.م) :في كتابه "الخطيب(De Oratore) "، يرى أن الحجاج هو: "فن إيجاد الحجج الملائمة لإقناع المتلقي في كل موضوع".

2. التعريفات العربية الكلاسيكية:

أبو هلال العسكري (ت. 395 هـ) في "الصناعتين" :"الحِجاج: إلزام الخصم الحُجَّة ليقرَّ بالمطلوب".

السكاكي (ت. 626 هـ) في "مفتاح العلوم" :"الحِجاج: مخاطبة الغير بإيراد حُجَّة لإثبات المدَّعى".

القزويني (ت. 739 هـ) في "الإيضاح" :"الحجاج: تعليل الحكم بذكر دليله".

3. التعريفات المعاصرة:

شاييم بيرلمان :(Chaïm Perelman, 1912-1984) في كتابه "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة(Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, 1958) "، يعرّف الحجاج بأنه: "مجموعة من التقنيات الخطابية التي تهدف إلى إثارة التصديق بأطروحة معينة أو زيادة قوته لدى السامعين، بواسطة خطاب موجه إليهم".[2]

أوزوالد ديكرو :(Oswald Ducrot) في كتابه "القول والمقول (Le dire et le dit, 1984)، يرى أن: "الحجاج صفة ملازمة للخطاب، إذ لا يمكن فصل المعنى عن الوظيفة الحجاجية".

طه عبد الرحمن :في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" (1998)، يُعرّف الحجاج بأنه: "كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".

محمد العمري :في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" (2002)، يعرّفه بأنه: "فعالية تداولية جدلية، وظيفتها تدعيم رأي أو دحضه".

4. التعريف الإجرائي المعتمد:

الحجاج نشاط لغوي وعقلي واجتماعي، يهدف إلى إقناع متلقٍّ أو جمهور بقضية معينة أو تعديل درجة تصديقهم بها، وذلك بتقديم مجموعة من الحجج والأدلة المنظمة، المنطلقة من مقدمات مقبولة للوصول إلى نتيجة محددة، ضمن سياق تواصلي وثقافي معين.

ويُعرّف أيضا بأنه: **نشاط خطابي يهدف إلى إقناع المتلقي بصحة دعوى أو أطروحة معينة من خلال تقديم حجج ومبررات تدعمها**[3]. ويتميز هذا التعريف بتركيزه على البعد التواصلي للحجاج، إذ لا يقتصر على البنية المنطقية الصورية، بل يأخذ في الاعتبار السياق التواصلي وطبيعة الجمهور المخاطَب.

ثالثا: الحجاج والمفاهيم المجاورة:

من الضروري التمييز بين الحجاج ومفاهيم أخرى تتقاطع معه أو تجاوره:

1. الحجاج والبرهان:(Démonstration)

البرهان:

- استدلال صوري يقيني يقوم على مقدمات ضرورية صادقة.
- ينتقل من الضرورة إلى الضرورة.
- مجاله: العلوم الدقيقة (المنطق، الرياضيات).

- الهدف: الوصول إلى يقين عقلي.
- مثال: "كل إنسان فانٍ، وسقراط إنسان، إذن سقراط فانٍ".

الحجاج:

- استدلال غير صوري يتحرك في مجال الاحتمال والمعقول.
- ينطلق من مقدمات مقبولة (محتملة أو مشهورة).
- مجاله: الإنسانيات، الفلسفة، القانون، السياسة.
- الهدف: الإقناع والتأثير.
- مثال: "التعليم أساس نهضة الأمم، فيجب الاستثمار فيه".

أرسطو في "التحليلات الأولى" يميز بين القياس البرهاني (Apodeictic syllogism) والقياس الجدلي.(Dialectical syllogism)

2. الحجاج والجدل:(Dialectique)

الجدل:

- فن المناظرة والمحاورة بين طرفين متعارضين.
- يقوم على السؤال والجواب، الفعل ورد الفعل.
- مثاله الأمثل: المناظرات الفلسفية واللاهوتية.

الحجاج:

- قد يكون أحادي الاتجاه (كالخطابة).
- لا يشترط فيه التفاعل المباشر.
- الجدل أوسع من الحجاج، فكل جدل يتضمن حجاجاً، وليس كل حجاج جدلاً.

أفلاطون في محاوراته استخدم الجدل السقراطي كوسيلة للوصول إلى الحقيقة.

3.الحجاج والإقناع:(Persuasion)

الإقناع:

- هو الغاية والنتيجة المرجوة من الحجاج.
- حالة ذهنية ووجدانية تتحقق لدى المتلقي.

الحجاج:

- هو الوسيلة والآلية اللغوية المنطقية.
- مجموع التقنيات والاستراتيجيات.

العلاقة بينهما: الحجاج سبب، والإقناع نتيجة.

4.الحجاج والخطابة: (Rhétorique)

الخطابة:

- فن القول الموجه للجمهور.
- تشمل ثلاثة أركان: الاختراع(Inventio) ، الترتيب(Dispositio) ، الأسلوب (Elocutio)، الحفظ(Memoria) ، الإلقاء.(Actio)

الحجاج:

- يركز على الركن الأول (الاختراع): إيجاد الحجج.
- يمكن أن يوجد في الخطابة وغيرها (الكتابة، الحوار).

كوينتيليان (Quintilian) في "تكوين الخطيب (Institutio Oratoria) "اعتبر الحجاج جزءاً أساسياً من الخطابة.

5.الحجاج والإخبار: (Information)

الإخبار:

- نقل معلومة أو واقعة دون قصد التأثير.
- وظيفة إعلامية مرجعية.

الحجاج:

- تقديم موقف أو رأي بقصد الإقناع.
- وظيفة تأثيرية إقناعية.

رومان ياكوبسون (Roman Jakobson) ميّز بين الوظيفة المرجعية والوظيفة الإفهامية للغة.

فالحجاج يختلف عن البرهان المنطقي في كونه يتوجه إلى جمهور محدد ويراعي السياق التواصلي، بينما يقوم البرهان على الاستدلال الصوري المجرد الذي لا يعتمد على خصائص المتلقي[4]. كما يتمايز الحجاج عن الإقناع العاطفي الذي يعتمد على التأثير الوجداني دون ضرورة تقديم مسوغات عقلية. فالحجاج يجمع بين البُعد العقلي والبُعد الوجداني، ويسعى إلى تحقيق الإقناع من خلال مخاطبة العقل أساسًا، مع عدم إغفال الجوانب العاطفية والأخلاقية للمتلقي.

المبحث الثاني: عناصر الموقف الحجاجي

تتألف العملية الحجاجية من مجموعة من العناصر المتفاعلة التي تشكل البنية الأساسية للموقف الحجاجي[5]:

المحاجِج (المرسل)

وهو الطرف الذي يقدم الحجج ويسعى إلى الإقناع. ويتطلب نجاح المحاجِج امتلاك مصداقية أخلاقية ومعرفية، فضلًا عن قدرته على تكييف خطابه بما يتناسب مع طبيعة الجمهور المخاطَب.

المحاجَج (المتلقي/الجمهور)

وهو من تُوجه إليه الحجج، ويمكن أن يكون فردًا أو جماعة. ويحتل مفهوم الجمهور مكانة مركزية في نظرية الحجاج الحديثة، إذ يُعد الحجاج الناجح هو الذي يُكيّف حججه بحسب طبيعة الجمهور ومعتقداته ومسلماته[6].

الأطروحة (الدعوى)

وهي القضية أو الموقف الذي يُراد إثباته أو دحضه. وتشكل الأطروحة النواة المركزية التي تدور حولها العملية الحجاجية بأكملها.

الحجج

وهي المعطيات والمبررات التي تُساق لدعم الأطروحة. وتتنوع الحجج من حيث طبيعتها ومصدرها، فقد تكون حججًا منطقية، أو تجريبية، أو سلطوية، أو مثالية.

الروابط الحجاجية: وهي العلاقات المنطقية أو البلاغية التي تربط الحجج بالأطروحة. وتلعب الروابط الحجاجية دورًا محوريًا في تماسك الخطاب الحجاجي وانسجامه[7].

السياق: ويشمل الظروف الثقافية والاجتماعية والتواصلية التي يجري فيها الحجاج. ويُعد السياق عنصرًا حاسمًا في تحديد فعالية الحجاج ومدى تأثيره.

المبحث الثالث: وظائف الحجاج

للحجاج وظائف متعددة تتجاوز مجرد الإقناع[8]:

الوظيفة الإقناعية

وهي الوظيفة الأساسية للحجاج، وتتمثل في حمل المتلقي على تبني موقف أو رأي معين.

الوظيفة التفسيرية

إذ يسعى الحجاج إلى توضيح الأسباب والمسوغات وراء موقف معين، مما يساعد على الفهم العميق للقضايا المطروحة.

الوظيفة الحوارية

حيث يُستخدم الحجاج لإدارة الاختلاف والتفاوض حول المعاني والقيم، مما يُسهم في بناء فضاء تواصلي قائم على الحوار العقلاني.

الوظيفة المعرفية

إذ يُسهم الحجاج في بناء المعرفة وتطويرها من خلال الجدل والمناظرة، وهو ما يجعله آلية أساسية للتقدم العلمي والفكري.

المبحث الرابع: أنواع الحجاج

يمكن التمييز بين أنواع متعددة من الحجاج بحسب الأدوات المستخدمة والسياقات التي يجري فيها:

الحجاج المنطقي

ويعتمد على قواعد الاستدلال الصوري (القياس، الاستقراء، القياس المضمر). ويتميز بالصرامة المنطقية والدقة الاستدلالية.

الحجاج البلاغي

ويوظف الصور البيانية والأساليب البلاغية لتعزيز الإقناع. ويُعد هذا النوع من الحجاج أكثر مرونة وقدرة على التأثير الوجداني.

الحجاج التداولي

ويراعي السياق التواصلي ومقاصد المتكلم وأحوال المخاطَب[9]. وينطلق من مبدأ أن المعنى لا يتحدد بالبنية اللغوية وحدها، بل بالاستعمال الفعلي للغة في السياق.

الحجاج الجدلي

ويقوم على المحاورة والمناقشـــة بين طرفين أو أكثر. ويتطلب هذا النوع احترام قواعد الحوار العقلاني والالتزام بآداب المناظرة.

المبحث الخامس: أمثلة توضيحية

لتوضيح المفاهيم السابقة، نقدم هذه الأمثلة:

المثال الأول: "التدخين مضر بالصحة، فقد أثبتت الدراسات العلمية أنه يسبب أمراض القلب والسرطان، لذا يجب الإقلاع عنه."

- الأطروحة: وجوب الإقلاع عن التدخين.
- الحجة: الضرر الصحي المثبت علميًا.
- الرابط الحجاجي: العلاقة السببية (لأن/فـ/لذا).

المثال الثاني: "إن الظلم مرتعه وخيم، ألم تر كيف هلكت الأمم الظالمة؟"

- الأطروحة الضمنية: يجب تجنب الظلم.
- الحجة: الاستشهاد بالتاريخ (هلاك الأمم الظالمة).
- الأسلوب: الاستفهام البلاغي التقريري.

مثال (3): حجاج منطقي

"العلم نور، والجهل ظلمة، فمن أراد النور فليطلب العلم".

التحليل:

- **المقدمة الأولى** :العلم نور (حكم قيمي مقبول).
- **المقدمة الثانية** :الجهل ظلمة (حكم قيمي مقابل).
- **النتيجة الضمنية** :النور مطلوب والظلمة مرفوضة.
- **النتيجة الصريحة** :يجب طلب العلم.
- **آلية الحجاج** :القياس الضمني + الاستعارة.

مثال (4): حجاج بالتدرج

"حتى الطفل الصغير يفهم هذه المسألة، فكيف بالشخص الراشد؟"

التحليل:

- **العامل الحجاجي**" :حتى" (يدل على الحد الأدنى).
- **نوع الحجة** :حجة بالأولى.(a fortiori)
- **المنطق** :إذا كان الضعيف قادراً، فالقوي أولى بالقدرة.

مثال (5): حجاج قرآني

قال تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: 17-20].

التحليل:

- **الأطروحة الضمنية** :وجود الخالق وقدرته.
- **الحجج** :مظاهر الخلق في الكون (الإبل، السماء، الجبال، الأرض).
- **الآلية الحجاجية** :الاستدلال بالآيات الكونية + الاستفهام الإنكاري التقريري.
- **البعد التداولي** :توجيه النظر والتأمل.

خاتمة

تُشكل الحجاجيات علمًا يدرس الآليات اللغوية والمنطقية والبلاغية التي يستخدمها المتكلم لإقناع المتلقي. وتتكون العملية الحجاجية من عناصر أساسية (محاجِج، محاجَج، أطروحة، حجج، سياق)، وتؤدي وظائف إقناعية ومعرفية وحوارية. ويتنوع الحجاج بحسب الأدوات المستخدمة (منطقية، بلاغية، تداولية) والسياقات التي يجري فيها، مما يجعله ظاهرة معقدة تتطلب مقاربة متعددة الأبعاد لفهمها واستيعابها.

الهوامش

(1) ينظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة: (حجج)،وهو يوضح الفرق بين الحُجّة والاحتجاج والمحاجّة. وأيضا: **ابن فارس**، ***مقاييس اللغة***،مادة: (ح ج ج)، وهو يربط الجذر بالخصومة والغلبة بالحجة. وأيضا: **الزبيدي**، ***تاج العروس***، **الفيروزآبادي**، ***القاموس المحيط***.

(2) Perelman, Chaïm, and Lucie Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation*, trans. John Wilkinson and Purcell Weaver (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969), 4-10.

(3) Perelman, Chaïm, and Lucie Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation*, trans. John Wilkinson and Purcell Weaver (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969), 4-10.

(4) المرجع السابق،26-19 ؛ وانظر أيضًا: Toulmin, Stephen E., *The Uses of Argument* (Cambridge: Cambridge University Press, 1958), 94-107.

(5) Toulmin, *The Uses of Argument*, 94-107.

(6) Perelman and Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric*, 19-26.

(7) Ducrot, Oswald, *Le dire et le dit* (Paris: Éditions de Minuit, 1984), 80-100؛ وانظر : Anscombre, Jean-Claude, and Oswald Ducrot, *L'argumentation dans la langue* (Bruxelles: Mardaga, 1983), 23-89.

(8) Van Eemeren, Frans H., and Rob Grootendorst, *Argumentation, Communication, and Fallacies: A Pragma-Dialectical Perspective* (Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1992), 1-18.

(9) Levinson, Stephen C., *Pragmatics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), 1-53.

المحاضرة الثانية: الحجاج عند أرسطو وتطوره في العصور الوسطى والحديثة

المبحث الأول: الحجاج عند أرسطو

1. الخطابة بوصفها فنًّا منهجيًا للإقناع

يُعدّ أرسطو (384–322 ق.م) أول من وضع إطارًا نظريًا منهجيًا متكاملًا لدراسة الحجاج في الفكر الغربي، وذلك في كتابه **الخطابة(Rhetoric)** ، حيث انتقل بالحجاج من كونه ممارسة خطابية عفوية إلى كونه **علمًا تحليليًا** يُعنى بدراسة آليات الإقناع وشروطه. ويُعرّف أرسطو الخطابة تعريفًا دقيقًا بقوله: «الخطابة هي القدرة على اكتشاف وسائل الإقناع المتاحة في كل موضوع»[1]

ويكشف هذا التعريف عن تصور إبستمولوجي مهم، مفاده أن الخطابة ليست مجرد زخرف لغوي أو استثارة انفعالية، بل هي **نشاط عقلي استكشافي** يقوم على تحليل السياق، وطبيعة الجمهور، ونوع القضية المطروحة. ومن ثمّ، فإن الخطابة عند أرسطو تقوم على مبدأ **الملاءمة** لا على قواعد جامدة.

2. أنواع البراهين الخطابية: الإيتوس، الباتوس، اللوغوس

يُميز أرسطو بين ثلاثة أنواع رئيسة من البراهين أو الإثباتات الخطابية [2] (entechnai pisteis)، تُعدّ الأساس النظري لأي عملية حجاجية ناجحة[3] (اقتباس معنوي):

أ. الإيتوس :(Ethos) المصداقية الأخلاقية للخطيب

يقصد أرسطو بالإيتوس الإقناع القائم على **صورة الخطيب وأخلاقه ومصداقيته** كما تتشكل داخل الخطاب نفسه[4].

فالمتلقي يميل إلى تصديق الخطيب الذي يبدو عارفًا، صادقًا، حسن النية. ولا تقوم هذه المصداقية على السمعة السابقة فحسب، بل تُبنى حجاجيًا أثناء الفعل الخطابي.

وقد ذهب أرسطو إلى أن الإيتوس قد يكون **أقوى وسائل الإقناع** في القضايا التي يغلب عليها الخلاف أو الغموض، حيث يفتقر الجمهور إلى معايير يقينية للحكم[5].

ب. الباتوس :(Pathos) التأثير في انفعالات المتلقي

أما الباتوس فيعني الإقناع عبر **استثارة العواطف والانفعالات** المناسبة لدى الجمهور، مثل الخوف، والشفقة، والغضب، والرجاء[6].

وينطلق أرسطو هنا من تصور أن الإنسان **ليس كائنًا عقلانيًا محضًا**، بل تتداخل انفعالاته مع أحكامه وقراراته، ومن ثمّ لا يمكن فصل الحجاج عن البعد النفسي للمتلقي.

ج. اللوغوس :(Logos) الحجة العقلية والبرهان المنطقي

يشير اللوغوس إلى الإقناع القائم على **الاستدلال العقلي**، سواء عبر القياس أو المثال أو الاستنتاج المنطقي[7]. ويمثل هذا البعد ما يميز الخطابة العقلانية عن مجرد التلاعب العاطفي، إذ يُخضع الدعوى للفحص والبرهنة، ولو في صورتها الاحتمالية لا اليقينية.

3. القياس الخطابي (Enthymeme) بوصفه قلب الحجاج الأرسطي

يُعدّ **القياس الخطابي (الإنثيميم)**[8] الأداة الحجاجية المركزية في نظرية أرسطو. وهو نوع من القياس المنطقي تُحذف فيه إحدى المقدمات لكونها معروفة أو مسلَّمًا بها لدى الجمهور[9].

ومن أمثلته الشائعة:

«سقراط فانٍ لأنه إنسان»؛ حيث تُحذف المقدمة الكبرى: «*كل إنسان فانٍ*».

وتكمن القوة الحجاجية للقياس المضمر في كونه **يُشرك المتلقي في بناء الاستدلال**، فيشعر بأن النتيجة نابعة من منطقه هو، لا مفروضة عليه من الخارج، وهو ما يزيد من فاعلية الإقناع[10].

.4الأمثال والشواهد التاريخية

إلى جانب القياس، اعتبر أرسطو **الأمثال والشواهد التاريخية** أدوات حجاجية فعّالة، لأنها تُحوّل المعاني المجردة إلى صور محسوسة، وتربط الحجة بتجارب واقعية مألوفة[11] .

فالمثال، بخلاف القياس، يعمل بطريقة استقرائية، ويؤدي وظيفة إقناعية خاصة عندما يكون الجمهور أقل ميلًا للتجريد المنطقي.

خلاصة المبحث

يتّضح من العرض السابق أن أرسطو لم يؤسس الخطابة بوصفها فنًّا لغويًا فحسب، بل بوصفها **نظرية حجاجية متكاملة** تقوم على تفاعل العقل والعاطفة والمصداقية، وعلى إشراك المتلقي في إنتاج المعنى. وقد شكّلت مفاهيم الإيتوس والباتوس واللوغوس، والقياس المضمر، الأساس الذي انطلقت منه معظم النظريات الحجاجية اللاحقة، القديمة والحديثة.

المبحث الثاني: الحجاج في العصور الوسطى

1. السياق العام: من البلاغة إلى المنطق الصوري

شـهدت العصـور الوسـطى الأوروبية (تقريبًا من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشـر الميلادي) تحوّلًا ملحوظًا في مسـار التفكير الحجاجي، حيث انتقل مركز الثقل من **البلاغة الخطابية** كما ورثها المفكرون عن التراث اليوناني–الروماني، إلى **المنطق الصوري والجدل المدرسـي** .(Scholasticism) وقد ارتبط هذا التحول ارتباطًا وثيقًا بصـعود المؤسـسـات التعليمية الكنسـية (المدارس الكاتدرائية والجامعات الناشـئة)، وبالحاجة إلى **تدعيم العقائد اللاهوتية بالحجج العقلية**[1] (اقتباس معنوي).

وفي هذا السـياق، لم يُلغَ الحجاج بوصـفه نشـاطًا إقناعيًا، بل أُعيد توجيهه ليخدم غاية محددة، هي **إثبات القضايا الدينية والدفاع عنها** عبر أدوات منطقية صارمة.

.2المنطق الصوري والجدل المدرسي

ركز الفلاسفة المدرسيون على دراسة منطق أرسطو، ولا سيما **القياس البرهاني** كما عُرض في *الأورغانون*(12)، مع تطوير تقنيات جدلية دقيقة تهدف إلى اختبار صـدق القضـايا واتسـاقها الداخلي(13).

وأصـبحت المناظرة (Disputatio) الشّـكلَ المركزي للممارسـة الحجاجية في الجامعات الوسـيطة، حيث تُعرض الأطروحة، ثم تُقدَّم الاعتراضـات عليها، تليها الردود والتفنيدات. وقد أسهم هذا الأسلوب في:

- تنمية مهارات التحليل المنطقي
- ضبط الاستدلال ومنع التناقض
- تدريب الذهن على التفكير المنهجي

غير أن هذا التركيز المكثف على الصـورية المنطقية أدى، في المقابل، إلى **انحسـار البعد البلاغي والتواصـلي للحجاج**، إذ لم يعد الاهتمام موجَّهًا إلى الجمهور الواسـع، بل إلى نخبة أكاديمية تشترك في نفس الافتراضات المنطقية واللاهوتية(14).

3. بيتر أبيلار (1079–1142) ومنهج إدارة الاختلاف

يُعدّ **بيتر أبيلار (Peter Abelard)** من أبرز مفكري العصور الوسطى الذين قدموا إسهامًا نوعيًا في تطور التفكير الحجاجي. ففي كتابه الشـهير *نعم ولا* (*Sic et Non*)، اعتمد منهجًا يقوم على **جمع الأقوال المتعارضة لآباء الكنيسة حول القضية الواحدة**، ثم تحليلها دون تقديم حلٍّ جاهز(15).

ويتمثل البعد الحجاجي المبتكر في هذا المنهج في:

- الاعتراف الصريح بوجود التناقض

- تعليق الحكم النهائي إلى حين الفحص النقدي
- دفع المتلقي (الطالب) إلى ممارسة التحليل والموازنة بنفسه

ويمثل هذا الأسلوب تحوُّلًا مهمًا من **الحجاج السلطوي** القائم على الاحتجاج بالنص وحده، إلى **حجاج جدلي عقلاني** يُدرّب على إدارة الاختلاف بدل إنكاره[16].

4. تقويم نقدي للحجاج الوسيط

يمكن القول إن الحجاج في العصور الوسطى اتّسم بازدواجية واضحة:

- **من جهة** :أسهم في تطوير أدوات دقيقة للتحليل المنطقي، وأرسى تقاليد صارمة للمناظرة العلمية.
- **ومن جهة أخرى** :ضيّق أفق الحجاج بجعله نشاطًا نخبويا داخليًا، وأضعف علاقته بالخطابة العامة والتواصل الاجتماعي.

ولهذا، فإن كثيرًا من منظري الحجاج المعاصرين يرون أن العصور الوسطى مثّلت مرحلة **حفظ وتدوين وتدقيق** أكثر منها مرحلة **ابتكار حجاجي تداولي**، وهو ما يفسر العودة القوية إلى البلاغة مع عصر النهضة[17].

خلاصة المبحث

لم يختفِ الحجاج في العصور الوسطى، بل أُعيد تشكيله داخل أفق لاهوتي–منطقي صارم، جعل من الجدل أداة لإثبات العقائد أكثر من كونه وسيلة لإقناع الجمهور العام. ومع ذلك، فإن إسهامات الفلاسفة المدرسيين، ولا سيما بيتر أبيلار، أسهمت في ترسيخ مبادئ تحليل الاختلاف وضبط الاستدلال، وهي مبادئ ستجد امتدادها لاحقًا في الفكر الفلسفي الحديث ونظريات الحجاج المعاصرة.

المبحث الثالث: الحجاج في العصر الحديث

1. التحول الإبستمولوجي[18]: من الجدل اللفظي إلى البرهان المنهجي

شهد العصر الحديث (القرنان السابع عشر والثامن عشر) تحوّلًا عميقًا في أسس التفكير الحجاجي، ارتبط بولادة العلم الحديث ونقد التراث المدرسي الوسيط. فقد أصبح الحجاج مرتبطًا بصورة متزايدة بـ**منهج إنتاج المعرفة** لا بمجرد الدفاع الجدلي عنها. ونتج عن ذلك إعادة تعريف معايير الإقناع، بحيث انتقلت من الصورية المنطقية الخالصة إلى **المنهج، والوضوح، وقابلية التحقق**[19].

.2فرانسيس بيكون (1561–1626): الحجاج والمنهج الاستقرائي

يمثل **فرانسيس بيكون** منعطفًا حاسمًا في تاريخ الحجاج العلمي، إذ وجّه نقدًا جذريًا للمنطق الأرسطي الصوري، معتبرًا أنه غير كافٍ لإنتاج معرفة جديدة. وفي كتابه *الأورغانون*

الجديد (The New Organon) دعا إلى اعتماد **الاستقراء المنهجي القائم على الملاحظة والتجربة** بدل القياس الاستنباطي[20].

ويتمثل الأثر الحجاجي لهذا التحول في أن البرهان لم يعد يقوم على اتّساق المقدمات مع النتائج فحسب، بل على **قوة الشواهد التجريبية** وتكرارها وإمكان اختبارها. وهكذا انتقل الحجاج من مجال الجدل النظري إلى **فضاء الممارسة العلمية**، حيث تُقنع النتائج بقدرتها على تفسير الظواهر لا بسلطة النصوص[21].

.3رينيه ديكارت (1596–1650): الشك المنهجي ومعايير اليقين

قدّم **رينيه ديكارت** نموذجًا مختلفًا للحجاج، يقوم على **الشك المنهجي** بوصفه أداة للوصول إلى اليقين. ففي *مقال عن المنهج*، وضع قواعد تقوم على **الوضوح والتمييز والترتيب**، معتبرًا أن ما لا يتصف بهذه الخصائص لا يستحق التصديق[22].

وقد أسهم هذا التصور في إعادة صياغة الحجاج الفلسفي على أساس **البداهة العقلية** بدل الحوار الجدلي. فالإقناع عند ديكارت لا يتحقق عبر مخاطبة الجمهور أو مراعاة السياق التداولي، بل عبر إلزام العقل الفردي بحقائق واضحة بذاتها. ونتج عن ذلك تعزيز النزعة العقلانية، لكن مع **إضعاف البعد الحواري والجماعي للحجاج**[23].

4. جون لوك (1632–1704): اللغة، الإقناع، ونقد البلاغة

يتخذ **جون لوك** موقفًا نقديًا من البلاغة التقليدية، خاصة في *مقال في الفهم الإنساني*، حيث يميز بين الاستخدام المعرفي للغة (نقل الأفكار بوضوح) والاستخدام البلاغي الذي قد يتحوّل إلى **أداة تضليل** عبر الزخرف اللفظي[24].

ويرى لوك أن الحجاج المشروع ينبغي أن يقوم على **تعريف دقيق للألفاظ** وربطها بالأفكار الحسّية والتجريبية، لا على الاستعارات والانفعالات. غير أن هذا الموقف، على صرامته، كشف عن توتر بنيوي بين مطلب **الدقة المعرفية** والحاجة التواصلية إلى الإقناع، وهو توتر سيعيد منظّرو الحجاج المعاصرون التفكير فيه بدل إلغائه[25].

.5تقويم عام للحجاج في العصر الحديث

يمكن إجمال ملامح الحجاج في العصر الحديث في ثلاث سمات رئيسة:

1. **مَنْهجَة الحجاج** :ربط الإقناع بقواعد معرفية صارمة (الاستقراء، الوضوح، التعريف).
2. **فَردَنة البرهان** :جعل العقل الفردي معيارًا للحقيقة بدل الحوار الجماعي.
3. **نقد البلاغة** :الشك في البعد الانفعالي والتزييني للخطاب.

وقد أسهمت هذه السمات في تطوير العلم والفلسفة، لكنها في المقابل همّشت البعد التداولي للحجاج، الأمر الذي سيدفع لاحقًا—في القرن العشرين—إلى **إحياء البلاغة والحجاج** مع بيرلمان، وتولمين، ودوكرو.

خلاصة المبحث

أعاد مفكرو العصر الحديث صياغة الحجاج على أسس منهجية وعقلانية، فجعلوا من البرهان أداة لإنتاج المعرفة لا مجرد وسيلة للدفاع عنها. وقد أسهم بيكون في نقل الحجاج إلى الميدان التجريبي، وديكارت في ترسيخ معايير اليقين العقلي، ولوك في نقد البلاغة الزخرفية. غير أن هذا المسار، على أهميته، كشف حدود الحجاج العقلاني الخالص، ومهّد لعودة التفكير في الحجاج بوصفه نشاطًا تواصليًا مركبًا في الفكر المعاصر.

المبحث الرابع: أمثلة توضيحية على الحجاج الأرسطي

1. المثال بوصفه تطبيقًا حجاجيًا لا مجرد توضيح

لا يورد المثال في النظرية الحجاجية بوصفه عنصرًا زخرفيًا أو تبسيطيًا، بل بوصفه **تجسيدًا عمليًا لآلية الإقناع** .وقد أدرك أرسطو هذه الوظيفة حين ميّز بين المثال والقياس، معتبرًا المثال أداة إقناعية ذات طبيعة استقرائية، تُستخدم خصوصًا حين لا يكون الجمهور مهيأً للتجريد المنطقي الخالص.[26]

وانطلاقًا من هذا التصور، يمكن تحليل الأمثلة الآتية بوصفها **نماذج تطبيقية لوسائل الإقناع الثلاث**.

2. مثال على الإقناع بالإيتوس(Ethos)

النص: «هذا الطبيب جدير بالثقة؛ لأنه تخرّج من أعرق الجامعات، وله خبرة تمتد ثلاثين عامًا.».

يمثل هذا المثال نموذجًا واضحًا للإقناع القائم على **الإيتوس**، حيث لا تُبنى الحجة على عرض أدلة طبية أو نتائج علمية، بل على **مصداقية المتكلم أو الفاعل** كما تتشكل في ذهن المتلقي.

ويقوم البناء الحجاجي هنا على افتراض ضمني مفاده: *"من امتلك تكوينًا علميًا رصينًا وخبرة طويلة فهو جدير بالثقة"* .

وهذا الافتراض لا يُصرَّح به، لكنه يُستدعى من المخزون القيمي المشترك بين المتكلم والمتلقي، وهو ما يمنح الحجة قوتها الإقناعية. ويُظهر هذا المثال كيف يعمل الإيتوس بوصفه **آلية نفسية–اجتماعية** قبل أن يكون حجة منطقية بالمعنى الصارم.[27]

3. مثال على القياس الخطابي (الإنثيميم)

النص: «العدل أســاس الملك، فاحرص عليه.»، يندرج هذا المثال ضــمن **القياس الخطابي (Enthymeme)**، حيث تُحذف إحدى المقدمات لبداهتها المفترضـــة لدى الجمهور. ويمكن إعادة بناء البنية الاستدلالية الكامنة على النحو الآتي:

- المقدمة الكبرى (محذوفة): ما كان أساس الملك وجب الحرص عليه.
- المقدمة الصغرى (مصرّح بها): العدل أساس الملك.
- النتيجة: إذن، يجب الحرص على العدل.

وتكمن القيمة الحجاجية لهذا القياس المضـــمر في أنه **لا يفرض النتيجة فرضًـــا**، بل يدعو المتلقي إلى اسـتنتاجها بنفسـه، مما يولد شـعورًا بالمشـاركة العقلية في إنتاج المعنى، ويعزز قابلية الإقناع.[28]

ويمثل هذا النوع من الحجج قلب الخطابة الأرســطية، لأنه يوازن بين الاقتصـــاد اللغوي والفاعلية التداولية.

4. الوظيفة الحجاجية للأمثلة

تكشف هذه الأمثلة أن الحجاج الأرسطي لا يقوم على البرهنة الصورية وحدها، بل على:

- استثمار القيم المشتركة
- تفعيل المعارف الضمنية لدى الجمهور
- إشراك المتلقي في استكمال البنية الاستدلالية

وهو ما يجعل المثال أداة مركزية في الخطاب الإقناعي، لا تقلُّ أهمية عن القياس المنطقي، خاصة في السياقات العملية والسياسية والأخلاقية.

خلاصة المبحث

تُظهر الأمثلة التوضيحية أن النظرية الحجاجية عند أرسطو ليست نظرية تجريدية مغلقة، بل إطارًا عمليًا لتحليل الخطاب اليومي والمؤســسـي. فالإيتوس يُبرز دور المصــداقية، والقياس المضـمر يُجسّد آلية الإقناع غير المباشـر، والمثال يربط الحجة بتجربة المتلقي. ومن ثمّ، فإن فهم هذه النماذج التطبيقية يُعد شرطًا أساسيًا لاستيعاب عمق المشروع الحجاجي الأرسطي.

الهوامش:

(1) Aristotle, *Rhetoric*, trans. W. Rhys Roberts, in *The Complete Works of Aristotle: The Revised Oxford Translation*, ed. Jonathan Barnes, vol. 2 (Princeton: Princeton University Press, 1984), Book I, Chapter 2, 1356a.: "Rhetoric may be defined as the faculty of observing in any given case the available means of persuasion."

(2) المصطلح اليوناني "entechnai pisteis" يُترجم إلى العربية بدقة بـ"البراهين التقنية" أو "الأدلة الفنية."

Aristotle, *Rhetoric*, I.2, 1356a.(3)

Ibid., I.2, 1356a.(4)

Antoine C. Braet, "Ethos, Pathos and Logos in Aristotle's Rhetoric," *Argumentation* 6 (5) (1992): 307–320.

Aristotle, *Rhetoric*, I.2, 1356a.(6)

Ibid., I.2, 1356a–1357a.(7)

(8)ويمسمى أيضا: القياس المضمر.

Ibid., I.2, 1356a–1357a.(9)

George A. Kennedy, *Aristotle, On Rhetoric: A Theory of Civic Discourse*, 2nd ed. (10) (Oxford: Oxford University Press, 2007), 37–72.

Aristotle, *Rhetoric*, II.20.(11)

(12)الأورغانون (Ἀργάνον) هو مصطلح يوناني قديم يعني "الأداة" أو "الآلة"، ويشير تحديدًا إلى مجموعة من كتب أرسطو الفلسفي في المنطق. الأورغانون ليس كتابًا واحدًا، بل مجموعة ستة أعمال رئيسية لأرسطو تشكل أساس المنطق الصوري (الأرسطي): المقولات (Categories)، التفسير (De Interpretatione)، التحليل الأول (Prior Analytics)، التحليل الثاني (Posterior Analytics)، الموضوعات (Topics)، والخطابات (Sophistical Refutations). سميت "أورغانون" لأنها تعتبر "أداة" أساسية للمعرفة العلمية والفلسفية، حيث توفر قواعد الاستدلال والقياس (syllogism) للوصول إلى الحقائق. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%BA%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86

وينظر: James J. Murphy, *Rhetoric in the Middle Ages: A History of Rhetorical Theory from Saint Augustine to the Renaissance* (Berkeley: University of California Press, 1974), 3–45.

Ibid., 89–133.(13)

Ibid., 112–118.(14)

Peter Abelard, *Sic et Non*, trans. Blanche B. Boyer and Richard McKeon (Chicago: (15) University of Chicago Press, 1976), Introduction.

John Marenbon, *The Philosophy of Peter Abelard* (Cambridge: Cambridge University (16) Press, 1997), 45–78.

Chaïm Perelman and Lucie Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric: A Treatise on* (17) *Argumentation* (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969), 1–15.

(18)الإبستمولوجيا: نظرية المعرفة.

Stephen Toulmin, *The Uses of Argument* (Cambridge: Cambridge University Press, (19) 1958), 1–15.

Francis Bacon, *The New Organon*, ed. Lisa Jardine and Michael Silverthorne (20) (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), I, Aphorisms 11–20.

Ibid., I, Aphorism 19.(21)

René Descartes, *Discourse on Method*, trans. Donald A. Cress (Indianapolis: Hackett, (22) 1998), 1–23.

Michel Meyer, *Principia Rhetorica: A Theory of Argumentation* (Dordrecht: Springer, (23)

2010), 45–58.

(24) John Locke, *An Essay Concerning Human Understanding*, ed. Peter H. Nidditch (Oxford: Clarendon Press, 1975), Book III, Chapter X.

(25) Chaïm Perelman and Lucie Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric* (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969), 5–12.

(26) Aristotle, *Rhetoric*, II.20

(27) Antoine C. Braet, "Ethos, Pathos and Logos in Aristotle's Rhetoric," *Argumentation* 6 (1992): 307–320.

(28) George A. Kennedy, *Aristotle, On Rhetoric: A Theory of Civic Discourse*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 2007), 37–45.

المحاضرة الثالثة: الحجاج في التراث العربي والإسلامي

(الجاحظ، ابن وهب، عبد القاهر الجرجاني)

مدخل مفاهيمي

تطرح هذه المحاضرة إشكالية جوهرية: هل عرف التراث العربي والإسلامي نظرية حجاجية متكاملة؟ وما طبيعة الفكر الحجاجي في كتابات البلاغيين والأدباء العرب؟ وكيف تجلت الممارسة الحجاجية في النصوص العربية القديمة؟

لطالما ساد اعتقاد خاطئ بأن البلاغة العربية اقتصرت على الجوانب الجمالية والزخرفية، متجاهلة البعد الحجاجي الإقناعي. غير أن الدراسات المعاصرة كشفت عن ثراء الفكر الحجاجي في التراث العربي، وإن لم يُصغ في نظرية منهجية موحدة كما فعل أرسطو، إلا أنه تجلى في ممارسات نصية وتنظيرات متفرقة ذات قيمة علمية عالية.

تتناول هذه المحاضرة ثلاثة أعلام بارزين مثّلوا محطات أساسية في الفكر الحجاجي العربي: **الجاحظ** بوصفه رائد البيان والحجاج، **ابن وهب الكاتب** بوصفه منظّراً للبرهان في البلاغة، **وعبد القاهر الجرجاني** بوصفه مؤسس نظرية النظم التي تحمل أبعاداً حجاجية عميقة.

أولاً: السياق العام للفكر البلاغي العربي

1. منابع البلاغة العربية:

تشكّل الفكر البلاغي العربي من منابع متعددة:

أ. المنبع القرآني:

- القرآن الكريم بوصفه المعجزة البيانية الكبرى.
- التحدي القرآني (الإعجاز) دفع إلى البحث في أسرار البلاغة.
- قوله تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88].

ب. المنبع الشعري الجاهلي:

- الشعر الجاهلي بوصفه ديوان العرب.
- الاهتمام بالفصاحة والبيان والتأثير في المتلقي.

ج. المنبع الخطابي:

- الخطابة عند العرب: الوعظ، الحماسة، السياسة.
- خطب الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

د. الاحتكاك بالثقافات الأخرى:

- ترجمة كتب أرسطو (الخطابة، الشعر، الجدل) في القرن الثالث الهجري.
- التأثير اليوناني على المنطق العربي والفلسفة.
- التفاعل مع الثقافة الفارسية والهندية.

2. الحقول المعرفية المتقاطعة مع الحجاج:

تطور الفكر الحجاجي العربي ضمن حقول معرفية متداخلة:

أ. علم الكلام (اللاهوت الإسلامي):

- المناظرات الكلامية بين الفرق (المعتزلة، الأشاعرة، الماتريدية).
- توظيف الحجج العقلية في إثبات العقائد.
- أبرز الأعلام: الباقلاني (ت. 403هـ) في "الإنصاف"، الجويني (ت. 478هـ).

ب. أصول الفقه:

- علم الجدل الفقهي.
- أنواع الأدلة: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس.
- الشافعي (ت. 204هـ) في "الرسالة".

ج. المنطق:

- الفارابي (ت. 339هـ) وشروحه لأرسطو.
- ابن سينا (ت. 428هـ) في "الشفاء".
- ابن رشد (ت. 595هـ) وتلخيصه لكتاب "الخطابة".

د. البلاغة:

- البيان والبديع والمعاني.
- التركيز على الفصاحة والبلاغة كقوة تأثيرية.

3. خصوصية المقاربة العربية للحجاج:

الفروق الجوهرية عن المقاربة الأرسطية:

- **التركيز على النص القرآني**: الانشغال بالإعجاز البياني.
- **التداخل بين الجمالي والحجاجي**: عدم الفصل الحاد بينهما.
- **الطابع التطبيقي**: أكثر من التنظير المجرد.
- **التعدد المنهجي**: عدم وجود نظرية موحدة شاملة.

ثانياً: الجاحظ (159-255هـ / 776-869م): رائد البيان والحجاج

1. التعريف بالجاحظ:

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، أديب معتزلي، من أكبر أئمة الأدب العربي. ولد بالبصـرة ونشـأ فيها وتوفي فيها.

أهم مؤلفاته:

- **"البيان والتبيين"**: موسوعة في الخطابة والبلاغة والحجاج.
- **"الحيوان"**: موسوعة علمية أدبية.
- **"البخلاء"**: أدب ساخر.
- **رسائل متنوعة**: كرسالة "التربيع والتدوير"، "فضل السودان على البيضان".

2. "البيان والتبيين": المرجع الأساسي:

طبيعة الكتاب: كتاب "البيان والتبيين" ليس كتاباً منهجياً مرتباً، بل هو موسوعة تجمع:

- آراء نظرية في البلاغة والبيان.
- نماذج من الخطب والرسائل والأشعار.
- أخبار الخطباء والبلغاء.
- مناظرات ومحاورات.

يقول الجاحظ في مقدمة الكتاب: "هذا كتاب ألفناه في صـــنوف الأدلة في البيان، ونعوت الخطباء، وفي أصناف الدلالات على المعاني."

3. مفهوم البيان عند الجاحظ:

التعريف اللغوي: البيان من الفعل "بان" بمعنى: ظهر ووضح.

التعريف الاصطلاحي عند الجاحظ:

يقول: "البيان اسـم جامع لكل شـيء كشـف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضـمير، حتى يفضـي السـامع إلى حقيقته، ويهجم على محصـوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شـيء بلغت الإفهام وأوضـحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[1].

تحليل التعريف:

العناصر الأساسية:

1. **الكشف والوضوح**: "كشف قناع المعنى".
2. **الشمولية**: "كل شيء" - لا يقتصر على اللغة.
3. **الغاية**: "الفهم والإفهام".

4. **الوظيفية**: المهم هو تحقيق الإبلاغ بأي وسيلة.

4. أصناف البيان (وسائل الإبلاغ):

حدَّد الجاحظ **خمسة أصناف للبيان**:

أ. اللفظ: وهو الكلام المنطوق أو المكتوب.

ب. الإشارة: الحركات والإيماءات الجسدية. يقول الجاحظ: "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه."

ج. العقد (الحساب): الإشارة بالأصابع للدلالة على الأعداد.

د. الخط (الكتابة): يقول: "الخط في الأرض والنقش في الجدر والحجر".

هـ. الحال (النِّصبة): الحالة أو الهيئة الدالة بذاتها. مثل: "نصب الأحجار في الطرق للدلالة على الاتجاهات."

الأهمية الحجاجية: هذا التصنيف يدل على وعي الجاحظ بتعدد **وسائل الإقناع**، وأن الحجاج لا يقتصر على الكلام المنطوق.

5. شروط البليغ المحاجّ:

أ. العلم بموضوع الخطاب: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك."[2]

ب. معرفة أحوال المخاطبين: يقول الجاحظ: "ولكل صنف من الناس، ولكل ضرب من المعاني، ولكل باب من الحديث، ولكل حال من الأحوال، كلاماً مقسوماً، ومعنى مقصوماً."[3]

تحليل:

- إدراك أهمية **مراعاة المقام** (البعد التداولي).
- تنويع الخطاب حسب الجمهور.
- هذا يوافق مفهوم أرسطو عن أنواع الخطابة.

ج. الطبع والصنعة: يقول: "فأما عِلْم البيان، فلا يعرف إلا مع طول الممارسة ومع شدة المذاكرة."[4]

د. الإيجاز والإطناب: "وقد يكون الإطناب في موضع البلاغة، كما يكون الإيجاز في موضع آخر هو البلاغة."[5].

6. الحجاج والمناظرة عند الجاحظ:

أ. أدب الحوار والمناظرة:

يروي الجاحظ العديد من المناظرات، مثل:

- مناظرات بين الشعوبية والعربية.
- مناظرات في فضائل البيان والصمت.

مثال تطبيقي: مناظرة في فضل البيان

القول الأول (مدح الصمت): "الصمت زين العلماء، وستر الجهلاء."

القول الثاني (مدح الكلام): "لولا البيان الذي جعله الله للناس تُرْجماناً على ما في ضمائرهم، ودليلاً على ما في قلوبهم، لكانوا كالبهائم المهملة، بل كانوا أسوأ حالاً منها."(6)

التحليل الحجاجي:

- **حجة بالنتيجة السلبية**: لولا البيان لكان الإنسان كالبهيمة.
- **حجة بالقيمة**: الإنسان يتميز بالنطق.
- **موضع حجاجي**: الخاص بالإنسان (النطق).

ب. المغالطات والحيل الحجاجية:

الجاحظ واعٍ بأساليب المغالطة في الحوار، يقول: "ومن الناس من يكتفي بالشيء الخفيّ، ومن يحتاج إلى البيان الواضح. وكم من رجل يَفْحَم صاحبه بالشبهة، وبخلاف الحجة."(7)

أنواع المغالطات المذكورة:

- **الشبهة**: إيهام الحق بالباطل.
- **التمويه**: تغطية الحقيقة.
- **القلب**: قلب الحجة على الخصم.

7. الحجاج في خطب الجاحظ:

مثال: خطبة لزياد بن أبيه (نقلها الجاحظ):

"أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغيّ الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه جُهّالكم، من الأمور العظام، مما تنفيذ الحقوق مع الاعتداء على أولي الأمر. أما والله لأُوقعن بكم وقعة تكون نكالاً لمن بعدكم، كما كانت لمن قبلكم عِظة وعبرة!"(8)

التحليل الحجاجي:

بنية الخطبة:

1. **الافتتاح**: "أما بعد" (صيغة خطابية معهودة).
2. **التشخيص**: تسمية الوضع بـ"الجهالة" و"الضلالة".
3. **التعليل**: "مما فيه سفهاؤكم...".
4. **التهديد**: "أما والله لأوقعن...".
5. **الحجة بالمثال**: "كما كانت لمن قبلكم".

الوسائل الحجاجية:

- **الباثوس**: إثارة الخوف والهيبة.
- **الإيتوس**: سلطة الخطيب وقوته.
- **اللوغوس**: حجة بالسابقة (الأمم السابقة).

الروابط الحجاجية:

- "أما بعد": رابط انتقالي.
- "مما": رابط تعليلي.
- "كما": رابط تشبيهي حجاجي.

8. الجاحظ والمعتزلة:

المعتزلة: فرقة كلامية تؤمن بالعقل وتقديمه في فهم النصوص.

تأثير الاعتزال على فكر الجاحظ الحجاجي:

- **العقلانية**: الاعتماد على الحجج العقلية.
- **الجدل**: المناظرة وسيلة للوصول إلى الحق.
- **الحرية الفكرية**: قبول الاختلاف والتنوع.

مثال: في الرد على منكري الإعجاز القرآني

يقول الجاحظ في "الحيوان": "وقد علمنا أن القرآن لم يخرج عن أن يكون شعراً، أو سجعاً، أو خطابة، أو رسالة. فلما كان لا يشبه شيئاً من هذه، بطل أن يكون مقدوراً للبشر."[9]

التحليل:

- **حجة بالاستنفاد (الحصر والتقسيم)**: حصر الأجناس الكلامية، ثم نفيها جميعاً.
- **النتيجة**: القرآن خارج عن المقدور البشري.

9. تقييم إسهام الجاحظ:

الإيجابيات:

- **الريادة**: أول من أسس لنظرية البيان بشكل واسع.
- **الشمولية**: تناول البيان من جوانب متعددة.
- **الوعي التداولي**: إدراك أهمية المقام والجمهور.
- **التطبيق الواسع**: نماذج حية من الممارسة الحجاجية.

الحدود:

- **عدم التنظيم المنهجي**: الكتاب موسوعي غير مرتب.
- **الطابع الأدبي**: غلبة الجانب الأدبي على التنظير الصارم.

ثالثاً: ابن وهب الكاتب (ت. 335هـ / 947م): البرهان في وجوه البيان

1. التعريف بابن وهب:

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، أديب وبليغ من أهل بغداد، عمل كاتباً في ديوان الإنشاء.

مؤلفه الأشهر: "البرهان في وجوه البيان": كتاب منهجي في البلاغة والحجاج.

2. منهجية ابن وهب:

الخصوصية المنهجية: يتميز ابن وهب عن الجاحظ بـــ: **بالمنهجية** حيث تنظيم المادة في أبواب وفصول محددة.و**بالتقعيد** حيث حاول وضع قواعد عامة، **وبالتأثر بالمنطق**؛ حيث استخدم المصطلحات المنطقية.

3. مفهوم البرهان عند ابن وهب:

التعريف: يقول في مقدمة كتابه: "وأما البرهان فهو الحجة القاطعة الفاصلة بين الحق والباطل، وهو أقوى ما يُحتج به على المدعي والمنكر، وبه تثبت الدعاوى، وتنحسم الشبه."[10]

تحليل: فهو يصف بالبرهان بثلاثة أشياء: **القطع**: الحجة القاطعة. **الفصل**: الفصل بين الحق والباطل. **الوظيفة**: إثبات الدعاوى، دحض الشبه.

الفرق بين البيان والبرهان:

- **البيان**: الإيضاح والكشف.
- **البرهان**: الحجة الملزمة القاطعة.

4. أقسام البرهان (أنواع الحجج):

قسّم ابن وهب البرهان إلى **سبعة أقسام**:

أ. الاستشهاد: الاحتجاج بالنصوص المعتمدة (القرآن، الحديث، الشعر، أقوال الحكماء).

يقول: "الاستشهاد يكون بالقرآن والحديث والشعر وأقوال السلف الصالح وأهل العلم."[11].

مثال: "قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، فدل ذلك على أن الغاية من الخلق هي العبادة."

ب. الاعتبار (القياس): إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة.

يقول: "الاعتبار هو قياس الشيء على نظيره، وإلحاق الفرع بالأصل."[12].

مثال: "النبيذ حرام قياساً على الخمر، بجامع الإسكار."

ج. التمثيل: ضرب المثل والتشبيه للتقريب والإيضاح.

يقول: "التمثيل إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، كقولك: العلم نور."[13].

د. الاستقراء: تتبع الجزئيات للوصول إلى حكم كلي.

مثال: "تتبعنا الأمم الناهضة فوجدناها تهتم بالتعليم، فدلَّ ذلك على أن التعليم سبب النهضة."

هـ. التقسيم (الحصر): حصر الأقسام ثم إبطال بعضها للوصول إلى المطلوب.

يقول: "التقسيم أن تحصر أقسام الشيء، ثم تبطل بعضها، فيثبت الباقي."[14].

مثال: "الكائنات إما جماد أو نبات أو حيوان. والإنسان ليس جماداً ولا نباتاً، فهو حيوان."

و. التعليل: بيان السبب والعلة.

مثال: "حُرّم الربا لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل."

ز. الاستدلال بالآثار (الاستدلال بالنتائج): الاحتجاج بالنتائج على الأسباب.

مثال: "نرى آثار التدبير والإحكام في الكون، فدل ذلك على وجود المدبّر الحكيم."

5. شروط البرهان الصحيح:

حدد ابن وهب شروطاً للبرهان الصحيح:

أ. الصدق: أن تكون المقدمات صادقة.

ب. الوضوح: أن تكون الحجة واضحة لا غموض فيها.

ج. الترتيب: أن تُرتب الحجج ترتيباً منطقياً.

د. الملاءمة: أن تناسب الحجة المقام والجمهور.

يقول: "ولكل مقام مقال، ولكل حال حديث."[15].

6. وجوه البيان (الأساليب البلاغية الحجاجية):

تناول ابن وهب **36 وجهاً من وجوه البيان**، منها:

أ. الاستفهام: طرح السؤال للتقرير أو الإنكار أو التشويق.

أنواعه الحجاجية:

- **استفهام تقريري**: "ألست بربكم؟"
- **استفهام إنكاري**: "أفلا تعقلون؟"
- **استفهام تعجيبي**: "كيف تكفرون بالله؟"

ب. التعجب: إظهار الاستغراب لتحريك المشاعر.

ج. التشبيه: إلحاق المشبه بالمشبه به لبيان صفة مشتركة.
وظيفته الحجاجية: التقريب والإيضاح والتأثير.
مثال من القرآن: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ} [العنكبوت: 41].
التحليل الحجاجي:

- **الأطروحة**: بطلان الشرك.
- **الحجة**: تشبيه الآلهة الباطلة ببيت العنكبوت في الضعف.
- **القوة الإقناعية**: الصورة الحسية تؤكد الحكم المعنوي.

د. الكناية: التعبير غير المباشر عن المعنى.
وظيفتها الحجاجية: الإقناع بطريق التلميح لا التصريح.
ه. المبالغة: تقوية المعنى بالزيادة في الوصف.
و. الطباق والمقابلة: الجمع بين المتضادات لتوضيح المعنى.
مثال: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} [التوبة: 82].
الحجاج: المقابلة بين القليل والكثير تؤكد شدة العذاب.
7. مثال تطبيقي شامل:
نموذج من تحليل ابن وهب:
قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: 17].
التحليل عند ابن وهب:
أ. الاستفهام الإنكاري: "أفلا ينظرون" – توبيخ وتقريع.
ب. الأمر بالنظر: دعوة إلى التأمل العقلي.
ج. التمثيل بالمحسوس: الإبل كمثال حسي على القدرة الإلهية.
د. البرهان بالآثار: من الخلق المحكم إلى الخالق الحكيم.
النتيجة الحجاجية: إثبات وحدانية الله وقدرته عبر الاستدلال بالآيات الكونية.

1. **تقييم إسهام ابن وهب:**

الإيجابيات:

- **المنهجية الدقيقة**: تنظيم البرهان في أقسام محددة.
- **التقعيد**: محاولة وضع قواعد عامة.
- **الربط بين البلاغة والمنطق**: إدراك البعد العقلي للبيان.
- **التطبيق على القرآن**: نماذج تحليلية قيّمة.

الأهمية التاريخية: يُعد ابن وهب همزة وصـــل بين البلاغة الأدبية والبلاغة المنطقية، ممهداً الطريق لعبد القاهر الجرجاني والسكاكي.

رابعاً: عبد القاهر الجرجاني (400-471هـــــ / 1009-1078م): نظرية النظم والإعجاز الحجاجي

1. التعريف بعبد القاهر الجرجاني:

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، إمام البلاغيين، ولد بجرجان (شمال إيران) وتوفي فيها.

أهم مؤلفاته:

- **"دلائل الإعجاز"**: في علم المعاني ونظرية النظم.
- **"أسرار البلاغة"**: في علم البيان.

2. نظرية النظم:

المفهوم الأساسي:

يقول عبد القاهر في "دلائل الإعجاز":

"النظم ليس سوى تعليق الكَلِم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. وليس النظم شيئاً غير توخّي معاني النحو فيما بين الكَلِم."[16].

تحليل التعريف:

أ. التعليق (الربط):

- النظم هو العلاقات النحوية بين الكلمات.
- ليس مجرد ضم الكلمات، بل ربطها وفق علاقات محددة.

ب. توخي معاني النحو:

- "معاني النحو": العلاقات النحوية (الفاعلية، المفعولية، الإضافة، النعت، إلخ).
- "توخّي": قصد واختيار واعٍ.

ج. المعنى المُراد: النظم ليس في الألفاظ ذاتها، بل في **معانيها النحوية** وعلاقاتها.

3. البُعد الحجاجي في نظرية النظم:

الإشكالية: هل نظرية النظم مجرد نظرية نحوية، أم لها أبعاد حجاجية؟

الجواب: نظرية النظم ذات بُعد حجاجي واضح، لأن:

أ. المعنى والمعنى: ميّز عبد القاهر بين:

- **المعنى**: الدلالة الأولية للكلمة.
- **معنى المعنى**: الدلالة الثانية المستنبطة (المعنى الحجاجي).

يقول: "ومعلوم أن الغرض من الكلام ليس إفادة السامع المعاني التي تليق بظواهر الألفاظ، بل إفادته ضروباً من المعاني تُعرف بأسباب ودلائل."[17].

مثال:

- قولنا: "زيد أسد."
- **المعنى الأول**: الإخبار بأن زيداً حيوان مفترس (خطأ).
- **معنى المعنى**: الإخبار بأن زيداً شجاع (المعنى الحجاجي المقصود).

ب. التقديم والتأخير:

مثال من القرآن:

- {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم: 42].
- لو قلنا: "ولا تحسبن الله عما يعمل الظالمون غافلاً"، لضعف المعنى.

التحليل الحجاجي:

- تقديم "غافلاً" يفيد التأكيد والتهويل.
- الرتبة اللفظية تؤثر في القوة الحجاجية.

ج. الحذف:

يقول عبد القاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة."[18].

الوظيفة الحجاجية:
- الحذف يجعل المتلقي يُعمل ذهنه.
- المعنى المحذوف أقوى تأثيراً من المذكور.

مثال: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: 82].
- المحذوف: "أهل" القرية.
- الحذف يفيد الشمول والتعميم (كأن القرية كلها تشهد).

د. التعريف والتنكير:

مثال:
- "جاء رجل": تنكير يفيد التقليل والتحقير.
- "جاء الرجل": تعريف يفيد التعظيم والتفخيم.

القوة الحجاجية: اختيار التعريف أو التنكير يؤثر في قوة الحجة.

4. التشبيه والاستعارة كآليات حجاجية:

في كتابه "أسرار البلاغة"، يُفصّل عبد القاهر القول في التشبيه والاستعارة.

أ. التشبيه:

يقول: "التشبيه يُقرّب المعاني البعيدة، ويُدني المتباعدات."[19].

الوظيفة الحجاجية:
- **التوضيح**: جعل المعنوي محسوساً.
- **التأثير**: الصورة أبلغ من التجريد.
- **الإقناع**: التشبيه بالمقبول يجعل المشبه مقبولاً.

مثال قرآني: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ} [البقرة: 261].

التحليل:
- **الأطروحة**: الحث على الإنفاق.
- **الحجة**: التشبيه بالحبة التي تتضاعف.
- **القوة الإقناعية**: الصورة الحسية (الحبة) تقنع بالمضاعفة المعنوية (الأجر).

ب. الاستعارة:

يقول: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه."[20].

الوظيفة الحجاجية: الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها:
- تدّعي الاتحاد بين المشبه والمشبه به.

- تُحدث تأثيراً أقوى في النفس.

مثال:

- **تشبيه**: "زيد كالأسد في الشجاعة."
- **استعارة**: "زيد أسد."

الاستعارة أقوى لأنها لا تُثبت الشبه فقط، بل تُثبت الحقيقة (مجازاً).

مثال قرآني: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [إبراهيم: 1].

- **الظلمات**: استعارة للكفر والجهل.
- **النور**: استعارة للإيمان والعلم.
- **الحجاج**: المقابلة بين الظلمة (المرفوضة) والنور (المرغوب) تحمل على اتباع الهدى.

5. الإعجاز القرآني والحجاج:

الإشكالية المحورية: ما وجه إعجاز القرآن؟ وكيف يختلف عن كلام البشر؟

موقف عبد القاهر:

يقول في "دلائل الإعجاز": "إن إعجاز القرآن ليس في الألفاظ المفردة، بل في **النظم**، أي في تأليف الكلام وترتيبه على وجه مخصوص."[21].

الأبعاد الحجاجية للإعجاز:

أ. الإحكام في النظم:

- كل كلمة في موضعها الأمثل.
- لا يمكن استبدالها بغيرها دون إخلال.

ب. التوافق بين اللفظ والمعنى:

- اللفظ يناسب المعنى في كل سياق.

ج. القوة الحجاجية:

- القرآن يُقنع العقل ويُؤثر في القلب معاً.
- الجمع بين اللوغوس والباثوس.

مثال تطبيقي:

قوله تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18].

تحليل عبد القاهر:

- حذف الفعل: "فصبر" بدلاً من "فأصبر صبراً".
- التنكير: "صبر" نكرة للتفخيم والتعظيم.
- النعت: "جميل" يصف نوع الصبر (الصبر بلا جزع).
- الالتفات إلى الله: "والله المستعان" - الاستعانة بالله دون غيره.

القوة الحجاجية:

- البنية اللغوية تعكس قوة الموقف الإيماني.
- الإيجاز يفيد التسليم التام.

6. عبد القاهر والسياق (المقام):

يُدرك عبد القاهر أهمية السياق في تحديد المعنى الحجاجي.
يقول: "ليس المعنى أن يكون اللفظ صالحاً لأن يُفهم منه المعنى، بل أن يُفهم منه في ذلك المقام خاصة."[22].

أهمية تداولية:

- المعنى يتحدد بالسياق.
- نفس اللفظ قد يفيد معاني مختلفة في سياقات مختلفة.

مثال:

- "أنت كريم": قد يكون مدحاً أو ذماً حسب السياق.
- إن قيل لمن أسرف في العطاء: ذم (سفه).
- إن قيل لمن جاد بماله: مدح.

7. تقييم إسهام عبد القاهر:

الإيجابيات:

- **التنظير الدقيق**: نظرية متماسكة ومنهجية.
- **الأصالة**: نظرية النظم إبداع عربي خالص.
- **البعد الحجاجي**: إدراك العلاقة بين البنية اللغوية والقوة الإقناعية.
- **التطبيق القرآني**: نماذج تحليلية عالية الدقة.

الأثر التاريخي:

- أثّر في جميع من جاء بعده (السكاكي، القزويني، التفتازاني).
- يُعد مرجعاً أساسياً في البلاغة العربية حتى اليوم.

الحدود:

- التركيز على النحو قد يُخفي أبعاداً حجاجية أخرى (تداولية، اجتماعية).
- الارتباط بالإعجاز القرآني جعل النظرية محصورة نسبياً.

خامساً: مقارنة تركيبية

الجانب	الجاحظ	ابن وهب	عبد القاهر
المفهوم المركزي	البيان (الإفهام)	البرهان (الحجة)	النظم (التعليق)
المنهج	موسوعي أدبي	منهجي تصنيفي	نظري دقيق
المصطلح الأساسي	البيان والتبيين	البرهان والأقسام	النظم ومعاني النحو
التطبيق	خطب ورسائل	نماذج قرآنية	الإعجاز القرآني
البعد الحجاجي	تداولي (المقام)	منطقي (البرهان)	لساني نحوي
الأثر	أسس البيان العربي	ربط البلاغة بالمنطق	أسس علم المعاني

سادساً: أمثلة تطبيقية شاملة

مثال (1): التحليل الثلاثي لآية واحدة

الآية: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ} [السجدة: 18].

أ. من منظور الجاحظ (البيان):

- **وضوح المعنى**: السؤال الإنكاري يُفهم بسهولة.
- **المقام**: خطاب للمخالفين لتقرير عدم التساوي.
- **التأثير**: الإنكار يحمل على التسليم.

ب. من منظور ابن وهب (البرهان):

- **نوع البرهان**: التقسيم (مؤمن/فاسق).
- **الحجة**: استفهام إنكاري = نفي قاطع.
- **التأكيد**: "لا يستوون" جملة مستأنفة تؤكد الحكم.

ج. من منظور عبد القاهر (النظم):

- **التقديم**: "أفمن كان مؤمناً" - تقديم المؤمن للتشريف.
- **الاستفهام**: للإنكار والتقرير.
- **الجملة الاسمية**: "لا يستوون" - للثبات والدوام.
- **الحذف**: حُذف الخبر (كمن كان فاسقاً) - للعلم به.

التكامل: الثلاثة يتكاملون في إبراز القوة الحجاجية للآية.

مثال (2): تحليل خطبة تراثية

من خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى، وطول الأمل. فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة."

التحليل الحجاجي:

أ. البنية:

- **الافتتاح**: نداء يجذب الانتباه.
- **الإجمال**: "اثنتان".
- **التفصيل**: شرح كل منهما.
- **التعليل**: بيان الأثر السلبي لكل.

ب. الحجج:

- **حجة سببية**: اتباع الهوى ← صد عن الحق.

- **حجة سببية**: طول الأمل ← نسيان الآخرة.

ج. الروابط:

- "أما... فـ...": رابط تفصيل وتعليل.

د. القوة الإقناعية:

- **الإيتوس**: سلطة الخطيب (الإمام علي).
- **اللوغوس**: منطق سببي واضح.
- **الباثوس**: إثارة الخوف ("أخوف").

سابعاً: خلاصة المحاضرة

الحجاج في التراث العربي والإسلامي تجلى في ثلاثة مستويات:

1. **الممارسة النصية**: في القرآن، الحديث، الخطب، الرسائل، المناظرات.
2. **التنظير الأدبي**: عند الجاحظ في "البيان والتبيين".
3. **التقعيد المنهجي**: عند ابن وهب في "البرهان في وجوه البيان"، وعبد القاهر في "دلائل الإعجاز".

الجاحظ أسس لمفهوم البيان الشامل، مدركاً أهمية المقام والجمهور، وعارضاً نماذج حية من الحجاج العربي.

ابن وهب قعّد للبرهان البلاغي، محدداً أنواع الحجج (الاستشهاد، الاعتبار، التمثيل، الاستقراء، التقسيم، التعليل، الاستدلال بالآثار).

عبد القاهر الجرجاني أسس نظرية النظم، مبيناً العلاقة الوثيقة بين البنية اللغوية (النحوية) والقوة الحجاجية، ومُظهراً كيف أن الإعجاز القرآني يكمن في النظم لا في الألفاظ المفردة.

هذا التراث الحجاجي العربي الإسلامي يمثل إسهاماً أصيلاً في الفكر الإنساني، ويستحق أن يُدرس ويُقارن بالنظريات الغربية، لا بوصفه مجرد تراث ماضٍ، بل بوصفه منظومة فكرية حية قابلة للتوظيف في تحليل الخطابات المعاصرة.

نهاية المحاضرة الثالثة

الهوامش

[1] البيان والتبيين، 1/75-76.

[2] البيان والتبيين، 1/138.

[3] البيان والتبيين، 1/136.

[4] البيان والتبيين، 1/94.

[5] البيان والتبيين، 97/1

[6] البيان والتبيين، 26/1.

[7] البيان والتبيين"، 102/1

[8] المرجع نفسه، 318/1-319

[9] كتاب الحيوان، 312/3.

[10] البرهان في وجوه البيان، ص 51

[11] المرجع نفسه، ص 67

[12] المرجع نفسه ، ص 73

[13] المرجع نفسه، ص 81

[14] المرجع نفسه ، ص 97

[15] المرجع نفسه، ص 119

[16] دلائل الإعجاز، ص 55

[17] دلائل الإعجاز، ص 263

[18] دلائل الإعجاز، ص 146

[19] أسرار البلاغة، ص 77.

[20] أسرار البلاغة، ص 29

[21] دلائل الإعجاز ، ص 41

[22] دلائل الإعجاز، ص 221.

المحاضرة الرابعة: النظريات الحديثة في الحجاج

مقدمة

شـهد القرن العشـرون انبعاثًا جديدًا للاهتمام بالحجاج، بعد قرون من هيمنة المنطق الصـوري والبرهان الرياضي. وقد تضافرت عوامل فكرية وسياسية واجتماعية متعددة لإعادة الاعتبار للحجاج بوصفه نشاطًا عقليًا أساسيًا في الحياة الإنسانية. وتهدف هذه المحاضرة إلى استعراض أبرز النظريات الحجاجية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين، مع التركيز على إسهاماتها المنهجية والمفاهيمية.

المبحث الأول: أسباب تجدد الاهتمام بالحجاج

نقد المنطق الصوري

تنامى الوعي بمحدودية المنطق الصـوري في معالجة القضـايا الإنسـانية والقيمية[1]. فالمنطق الصـوري يتعامل مع قضـايا يقينية قابلة للبرهنة الرياضـية، لكنه يعجز عن تناول القضـايا التي تتسـم بالاحتمال والتعقيد، مثل القضايا الأخلاقية والسياسية والجمالية. وقد أدى هذا الوعي إلى البحث عن أشكال بديلة من العقلانية تكون أكثر ملاءمة لطبيعة الخطابات الإنسانية.

تطور اللسانيات

سـاهم ظهور اللسـانيات التداولية التي تهتم بالاسـتعمال الفعلي للغة في السـياقات التواصـلية في إعادة الاعتبار للبعد الحجاجي للخطاب[2]. فاللسـانيات البنيوية التقليدية كانت تدرس اللغة كنظام مجرد، دون الاهتمام بوظائفها التواصلية والإقناعية. أما اللسانيات التداولية، فقد وجهت الانتباه إلى ما يفعله المتكلمون باللغة، وكيف يستخدمونها للتأثير في المخاطبين.

الحاجة إلى فهم الإقناع

تزايد الاهتمام بدراسة الخطابات السياسية والإعلامية والإشهارية، مما فرض الحاجة إلى أدوات تحليلية لفهم آليات الإقناع الجماهيري[3]. فالقرن العشرون شهد صعود وسائل الإعلام الجماهيرية وتطور تقنيات الدعاية، مما جعل فهم آليات التأثير والإقناع ضرورة علمية واجتماعية.

التحولات الفلسفية

شـهدت الفلسـفة تحولًا من فلسـفة الذات (الديكارتية) إلى فلسـفة التواصـل والحوار، ممثلة في أعمال هابرماس وأبل وغيرهما[4]. وقد أكدت هذه الفلسـفة على أن العقلانية ليسـت خاصـية فردية صـرفة، بل تتحقق من خلال التواصل والحوار بين الذوات.

المبحث الثاني: نظرية ستيفن تولمين(Stephen Toulmin)

نموذج تولمين الحجاجي (1958)

قدم تولمين في كتابه "اســتخدامات الحجاج (*The Uses of Argument*) "نموذجًا لتحليل بنية الحجة، يتكون من ستة عناصر[5]:

الدعوى(Claim)

وهي الأطروحة المراد إثباتها، وتمثل الهدف النهائي للحجاج.

المعطيات(Data)

وهي الوقائع والمعلومات التي تُساق لدعم الدعوى. وتشكل الأساس التجريبي أو الواقعي للحجة.

الضمان(Warrant)

وهو القاعدة أو المبدأ الذي يربط المعطيات بالدعوى. ويمثل الضمان الجسر المنطقي بين الدليل والنتيجة.

الدعم(Backing)

وهو ما يؤيد الضمان ويعززه. فالضمان نفسه قد يحتاج إلى تبرير، وهنا يأتي دور الدعم.

المدعّم(Qualifier)

وهو ما يحدد درجة قوة الدعوى (بالتأكيد، ربما، على الأرجح...). ويعكس هذا العنصر الطابع الاحتمالي للحجاج، على عكس البرهان المنطقي الذي يقدم نتائج يقينية.

التحفظ(Rebuttal)

وهي الشروط أو الاستثناءات التي قد تُضعف الدعوى. ويُظهر هذا العنصر الوعي بحدود الحجة وإمكانية وجود حالات لا تنطبق عليها.

أهمية نموذج تولمين

يتميز هذا النموذج بأنه يراعي الطابع العملي للحجاج، ولا يقتصر على البنية المنطقية الصورية، بل يأخذ بعين الاعتبار السياق والاحتمال ودرجات اليقين[6]. وقد أصبح نموذج تولمين أداة تحليلية واسعة الاستخدام في دراسات الحجاج المعاصرة، نظرًا لمرونته وقابليته للتطبيق على أنواع مختلفة من الخطابات.

المبحث الثالث: نظرية الحجاج في اللغة (أنسكومبر وديكرو)

المبدأ الأساسي

طور **جان كلود أنسـكومبر** و**أوزفالد ديكرو** في السـبعينيات نظرية ترى أن **الحجاج متأصـل في بنيـة اللغة ذاتها**، وليس مجرد اســتخدام لها[7]. فالكلمات والتراكيب تحمل في ذاتها توجيهًا حجاجيًا، بمعنى أنها تقود المتلقي نحو استنتاجات معينة. وبهذا، لا يُعد الحجاج مجرد وظيفة نضـيفها إلى اللغة، بل هو خاصية جوهرية فيها.

السلالم الحجاجية

قدم ديكرو مفهوم **السلم الحجاجي**، وهو ترتيب للحجج بحسب قوتها في خدمة نتيجة معينة[8]. مثلًا:

متجمد <بارد جدًا <بارد <فاتر <دافئ <حار <حار جدًا

كل عنصر في هذا السلم يخدم نتائج حجاجية مختلفة. فقول "الطقس بارد" يدعم نتيجة "ابقَ في البيت"، لكن قول "الطقس متجمد" يدعم النتيجة نفسها بقوة أكبر.

الروابط الحجاجية

ميّز ديكرو بين أنواع من الروابط الحجاجية[9]:

روابط الوصل

وهي التي تربط حججًا في اتجاه واحد (بل، حتى، لا سيما). مثال: "الطقس بارد، بل متجمد" – حيث "بل" تصعد في السلم الحجاجي.

روابط الدحض

وهي التي تربط حجة بنتيجة مخالفة (لكن، مع ذلك، غير أن). مثال: "الطقس بارد، لكنني سأخرج" – حيث "لكن" تقلب الاتجاه الحجاجي المتوقع.

المبحث الرابع: نظرية الأفعال الكلامية (أوستين وسيرل)

الفعل الإنجازي

طور **جون أوستين** نظرية الأفعال الكلامية، مبينًا أن الكلام ليس مجرد وصف للواقع، بل فعل يُنجز به شيء (الوعد، الأمر، الطلب...)[10]. وقد ميّز أوستين بين ثلاثة مستويات للفعل الكلامي:

- **الفعل القولي** :(Locutionary act)إنتاج الأصوات والكلمات.
- **الفعل الإنجازي** :(Illocutionary act)ما يُنجز بقول الكلام (وعد، أمر، سؤال...).
- **الفعل التأثيري** :(Perlocutionary act)الأثر الذي يُحدثه الكلام في المتلقي.

وهذا التمييز يفتح بابًا لفهم الحجاج بوصفه فعلًا إنجازيًا يهدف إلى التأثير في معتقدات المتلقي ومواقفه.

شروط النجاح

حدد **جون سيرل** شروطًا لنجاح الأفعال الكلامية، منها الإخلاص والصدق والملاءمة[11]. وهذه الشروط ضرورية أيضًا لفعالية الحجاج. فالحجاج الذي يفتقر إلى الإخلاص أو المصداقية لا يمكن أن يحقق غرضه الإقناعي.

المبحث الخامس: أمثلة توضيحية

مثال نموذج تولمين

- **الدعوى** :يجب تقليل استهلاك اللحوم.
- **المعطيات** :إنتاج اللحوم يُسهم في 14.5% من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري.
- **الضمان** :ما يُسهم في الاحتباس الحراري يجب تقليله.
- **الدعم** :تقارير الهيئة الدولية لتغير المناخ.
- **المدعّم** :على الأرجح.
- **التحفظ** :إلا في حالات النقص الغذائي الحاد.

مثال السلالم الحجاجية

"الطقس بارد، بل متجمد، لذا لا تخرج." استخدام "متجمد" أقوى حجاجيًا من "بارد"، إذ يقع في مرتبة أعلى على السلم الحجاجي، مما يجعله أكثر قدرة على دعم النتيجة المطلوبة (عدم الخروج).

مثال الروابط الحجاجية

- "الطقس بارد، لذا سأبقى في البيت." (رابط وصل سببي)
- "الطقس بارد، لكنني سأخرج." (رابط دحض يقلب الاتجاه الحجاجي)

خاتمة

شهد القرن العشرون تجددًا في الاهتمام بالحجاج مع ظهور نظريات حديثة، أبرزها نموذج تولمين الذي حلل بنية الحجة بطريقة عملية ومرنة، ونظرية الحجاج في اللغة لأنسكومبر وديكرو التي أكدت أن الحجاج متأصل في اللغة ذاتها، ونظرية الأفعال الكلامية التي ربطت الحجاج بالبعد الإنجازي للكلام. وقد أسست هذه النظريات لمقاربات متعددة الأبعاد للظاهرة الحجاجية، وفتحت آفاقًا جديدة لدراسة الخطابات الإنسانية في تنوعها وتعقيدها.

الهوامش:

(1) Perelman, Chaïm, and Lucie Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation*, trans. John Wilkinson and Purcell Weaver (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969), 1-10.

(2) Levinson, Stephen C., *Pragmatics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), 1-53.

(3) Van Eemeren, Frans H., and Rob Grootendorst, *Argumentation, Communication, and Fallacies: A Pragma-Dialectical Perspective* (Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1992), 1-18.

(4) يُنظر في أعمال هابرماس حول نظرية الفعل التواصلي، وخاصة : Habermas, Jürgen, *The Theory of Communicative Action*, trans. Thomas McCarthy (Boston: Beacon Press, 1984).

(5) Toulmin, Stephen E., *The Uses of Argument* (Cambridge: Cambridge University Press, 1958), 94-107.

(6) Toulmin, *The Uses of Argument*, updated ed. (Cambridge: Cambridge University Press,

2003), 87-131.

(7) Ducrot, Oswald, *Le dire et le dit* (Paris: Éditions de Minuit, 1984), 5-33.

(8) المرجع السابق، ص 80-100.

(9) Anscombre, Jean-Claude, and Oswald Ducrot, *L'argumentation dans la langue* (Bruxelles: Mardaga, 1983), 23-89.

(10) Austin, John L., *How to Do Things with Words*, 2nd ed., ed. J. O. Urmson and Marina Sbisà (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1975), 4-38.

(11) Searle, John R., *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language* (Cambridge: Cambridge University Press, 1969), 54-71.

المحاضرة الخامسة: الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا

مقدمة

يُعد كتاب "مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة (*Traité de l'argumentation*) "لـ**شاييم بيرلمان** و**لوسي أولبرخت-تيتيكا**، الصادر عام 1958، من أهم الأعمال التي أسست للبلاغة الحديثة ونظرية الحجاج المعاصرة[1]. وقد جاء هذا العمل في سياق تاريخي حاسم، إذ كانت أوروبا تتعافى من آثار الحرب العالمية الثانية، وكان الوعي بخطورة الخطابات التضليلية والدعاية الشمولية في أوجه. وتهدف هذه المحاضرة إلى استعراض المشروع النظري الذي قدمه بيرلمان وتيتيكا، مع التركيز على أهم مفاهيمهما وتقنياتهما الحجاجية.

المبحث الأول: السياق التاريخي والفلسفي

نقد الوضعية المنطقية

انطلق بيرلمان من نقد الوضعية المنطقية التي حصرت العقلانية في المنطق الصوري والبرهان الرياضي، وأقصت القضايا القيمية والأخلاقية من مجال العقل[2]. فقد كانت الوضعية المنطقية تعتبر أن القضايا التي لا يمكن التحقق منها تجريبيًا أو برهنتها منطقيًا هي قضايا لا معنى لها. ورأى بيرلمان في هذا الموقف إفقارًا للعقلانية، إذ يترك مجالات واسعة من الحياة الإنسانية (الأخلاق، القانون، السياسة) خارج نطاق العقل. ومن هنا، سعى إلى تأسيس نوع آخر من العقلانية قائم على **الحجاج المعقول** وليس البرهان الضروري[3].

العودة إلى أرسطو

استلهم بيرلمان من خطابة أرسطو، لكنه تجاوزها بتأسيس **خطابة جديدة** تُعنى بدراسة تقنيات الإقناع الموجهة إلى عقل الجمهور، وليس فقط عواطفه[4]. وبينما ركز أرسطو على الخطابة الشفوية في السياق اليوناني القديم، وسّع بيرلمان مجال الحجاج ليشمل جميع أشكال الخطاب المكتوب والمنطوق، في مختلف السياقات الثقافية والتاريخية.

المبحث الثاني: مفهوم الجمهور(Auditoire)

مركزية الجمهور

من أهم مفاهيم بيرلمان **مفهوم الجمهور**، وهو مجموع الأشخاص الذين يريد الخطيب التأثير فيهم[5]. والحجاج الناجح هو الذي يُكيّف حججه بحسب طبيعة الجمهور ومعتقداته ومسلماته. فليس هناك حجة قوية في ذاتها بمعزل عن الجمهور، بل قوة الحجة تُقاس بمدى قدرتها على إقناع الجمهور المستهدف. وهذا يعني أن الحجاج نشاط تواصلي بامتياز، لا يمكن فهمه بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي.

أنواع الجمهور

ميّز بيرلمان بين ثلاثة أنواع من الجمهور[6]:

الجمهور الكوني

وهو كل كائن عاقل، وتُوجّه إليه الحجج ذات الطابع الكوني والشمولي. والحجج التي تستهدف الجمهور الكوني تسعى إلى الاعتماد على مبادئ عقلية يُفترض أن جميع الكائنات العاقلة تقبلها. وهذا النوع من الجمهور يمثل مثالًا منظمًا أكثر منه واقعًا تجريبيًا.

الجمهور الخاص

وهو فئة محددة من الناس (قضاة، علماء، أعضاء حزب...)، وتُكيّف الحجج بحسب خصوصياتهم. فالحجج الموجهة إلى جمهور من العلماء تختلف في طبيعتها ومستوى تفصيلها عن الحجج الموجهة إلى عامة الناس.

الجمهور الفردي

وهو الذات نفسها في حوارها الداخلي (المداولة). فالإنسان عندما يداول في أمر ما، يكون محاجِجًا ومحاجَجًا في الوقت نفسه، ويسعى إلى إقناع ذاته باتخاذ موقف معين.

الاتفاق المسبق

لكي ينجح الحجاج، لا بد من **اتفاق مسبق** بين المحاجِج والجمهور على بعض المقدمات والقيم[7]. وهذا الاتفاق هو نقطة انطلاق العملية الحجاجية. فالمحاجِج لا يبدأ من فراغ، بل ينطلق من معتقدات وقيم يتقاسمها مع جمهوره، ويسعى من خلالها إلى إقناعه بمعتقدات وقيم جديدة.

المبحث الثالث: موضوعات الاتفاق

حدد بيرلمان نوعين من موضوعات الاتفاق[8]:

الواقعيات(Objets de réel)

وتشمل:

الوقائع

وهي ما يُعتبر موضوع إجماع (مثلًا: باريس عاصمة فرنسا). والوقائع تحظى بقبول واسع، مما يجعلها نقطة انطلاق قوية للحجاج.

الحقائق

وهي القضايا العلمية المثبتة. وتتمتع الحقائق العلمية بمصداقية عالية في المجتمعات الحديثة، مما يجعل الاستناد إليها استراتيجية حجاجية فعالة.

الافتراضات

وهي ما يُفترض صحته مؤقتًا لغرض الحجاج. والافتراضات تُستخدم عندما لا تكون الوقائع أو الحقائق متاحة، أو عندما يكون الهدف هو استكشاف نتائج فرضية معينة.

المفضليات(Objets du préférable) وتشمل:

القيم: وهي ما يُعتبر مرغوبًا أو مستحسنًا (العدل، الحرية، الجمال...). والقيم تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، لكن كل مجتمع يتقاسم مجموعة من القيم الأساسية التي تُشكل مرجعية للحجاج.

التراتبيات

وهي ترتيب القيم بحسب الأفضلية. فليس كافيًا الاتفاق على القيم، بل يجب أيضًا الاتفاق على ترتيبها النسبي. مثلًا، قد يتفق الجميع على أن الحرية والأمن قيمتان مهمتان، لكنهم قد يختلفون في أيهما أولى بالتقديم عند التعارض.

الأماكن المشتركة(Lieux)

وهي المبادئ العامة التي يتفق عليها الجمهور (مثل تفضيل الأكثر على الأقل، أو الدائم على المؤقت...)[9]. والأماكن المشتركة تمثل قواعد حجاجية شبه كونية، يمكن الاستناد إليها في معظم السياقات الحجاجية.

المبحث الرابع: تقنيات الحجاج

صنّف بيرلمان تقنيات الحجاج إلى ثلاثة أنواع رئيسة[10]:

الحجج شبه المنطقية(Arguments quasi-logiques)

وهي الحجج التي تشبه البراهين المنطقية والرياضية، لكنها ليست صورية تمامًا. ومن أمثلتها:

التناقض:فلا يمكن أن يكون الشيء ونقيضه صحيحين معًا. والكشف عن تناقض في موقف الخصم يُعد من أقوى الحجج.

التعريف: تحديد المعنى لتأسيس الحجة. فالتعريفات ليست محايدة، بل تحمل توجهات حجاجية معينة.

المماثلة:العدل يقتضي المعاملة المتساوية للحالات المتشابهة. وهذا المبدأ يُستخدم على نطاق واسع في الحجاج القانوني والأخلاقي.

الحجج المؤسسة على بنية الواقع(Arguments fondés sur la structure du réel)

وهي الحجج التي تعتمد على العلاقات القائمة في الواقع، ومنها[11]:

علاقة السببية:(أ) يسبب (ب). والاحتجاج بالعلاقة السببية من أكثر أنواع الحجج شيوعًا، إذ يُستخدم لربط الأفعال بنتائجها.

علاقة التعايش:وهي العلاقة بين الشخص وأفعاله، أو بين الجوهر والمظهر. مثلًا، الاستدلال على صفة الشجاعة من خلال الأفعال الشجاعة.

الحجة السلطوية:الاستشهاد بسلطة معترف بها (عالم، مرجع ديني، نص مقدس...). وتعتمد قوة هذه الحجة على مدى اعتراف الجمهور بالسلطة المستشهد بها.

الحجة بالنموذج:الاقتداء بمثال أعلى. والنماذج (كالأنبياء والأبطال والقادة العظام) تُستخدم لتوجيه السلوك وتحفيز الاقتداء.

الحجج المؤسسة لبنية الواقع (Arguments établissant la structure du réel)

وهي الحجج التي تخلق علاقات جديدة بين العناصر، ومنها[12]:

المثال: استخدام حالة خاصة لتأسيس قاعدة عامة. والاستقراء من حالات جزئية إلى مبادئ كلية يُعد من أهم آليات بناء المعرفة.

التشبيه والاستعارة: نقل خصائص من مجال إلى آخر لتوضيح المعنى. والصور البيانية ليست مجرد زينة لفظية، بل هي أدوات حجاجية فعالة لتقريب المعاني المجردة.

المبحث الخامس: قوة الحجج وترتيبها

أكد بيرلمان أن ترتيب الحجج وتنسيقها لا يقل أهمية عن محتواها[13]. فقد تكون الحجة قوية في ذاتها لكنها تضعف بسوء وضعها، والعكس صحيح. ويتطلب الحجاج الفعال معرفة بالاستراتيجيات البلاغية، مثل البدء بالحجج القوية لجذب الانتباه، أو الختام بها لترك انطباع دائم، أو التدرج من الضعيف إلى القوي لبناء الإقناع تدريجيًا.

المبحث السادس: أمثلة توضيحية

مثال حجة شبه منطقية (التناقض)

"تدّعي أنك تحب السلام، لكنك تؤيد الحرب على بلد مجاور. هذا تناقض واضح". هنا يُستخدم الكشف عن التناقض لإضعاف موقف الخصم.

مثال حجة مؤسسة على بنية الواقع (السببية): "التدخين يسبب السرطان، وقد ثبت ذلك علميًا، فعليك الإقلاع عنه." الربط السببي بين التدخين والسرطان يُشكل حجة قوية على ضرورة الإقلاع.

مثال حجة مؤسسة لبنية الواقع (التشبيه): "الحياة كالبحر، تارة هادئة وتارة عاصفة، فعليك أن تتعلم السباحة في كلتا الحالتين." التشبيه هنا لا يقتصر على التوضيح، بل يؤسس لرؤية معينة للحياة وكيفية التعامل معها.

مثال مراعاة الجمهور: لو خاطب طبيب جمهورًا من العلماء، سيستخدم مصطلحات طبية دقيقة؛ أما إذا خاطب عامة الناس، فسيبسط اللغة ويستخدم التشبيهات. هذا التكييف ضروري لنجاح الحجاج.

خاتمة

قدم بيرلمان وتيتيكا نظرية شاملة للحجاج ترتكز على مفهوم الجمهور بوصفه المحور الأساسي في العملية الحجاجية. وميّزا بين موضوعات الاتفاق (الواقعيات والمفضليات) وصنّفا تقنيات الحجاج إلى

ثلاثة أنواع (شبه منطقية، مؤسسة على بنية الواقع، مؤسسة لبنية الواقع). وبهذا أعادا الاعتبار للعقلانية الحجاجية في مقابل العقلانية البرهانية الصورية، وأسسا لمقاربة تداولية للحجاج تأخذ بعين الاعتبار السياق والجمهور والقيم المشتركة.

الهوامش

(1) Perelman, Chaïm, and Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique*, 5e éd. (Bruxelles: Éditions de l'Université de Bruxelles, 1988).

(2) المرجع السابق، ص 1-10.

(3) Perelman and Olbrechts-Tyteca, *The New Rhetoric*, 1-10.

(4) المرجع السابق، ص 1-5.

(5) Perelman and Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation*, 23-40.

(6) المرجع السابق، ص 40-49.

(7) المرجع السابق، ص 89-94.

(8) المرجع السابق، ص 94-142.

(9) المرجع السابق، ص 112-142

(10) المرجع السابق، ص 267-549.

(11) المرجع السابق، ص 321-410.

(12) المرجع السابق، ص 471-549.

(13) Gross, Alan G., and Ray D. Dearin, *Chaïm Perelman* (Albany: State University of New York Press, 2003), 37-89.

المحاضرة السادسة: الحجاج في اللسانيات التداولية

مقدمة

شهدت اللسانيات في النصف الثاني من القرن العشرين تحولًا جوهريًا من دراسة اللغة كنظام مجرد إلى دراستها في سياق الاستعمال الفعلي. وقد أسهمت **اللسانيات التداولية** (Pragmatics) بشكل حاسم في إبراز البعد الحجاجي للغة، من خلال التركيز على ما يفعله المتكلمون باللغة وكيف يستخدمونها للتأثير في المخاطبين. وتهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف كيفية دراسة الظاهرة الحجاجية من منظور تداولي، مع التركيز على المفاهيم والنظريات الأساسية في هذا المجال.

المبحث الأول: التداولية ـ تعريف ومجالات

التعريف

التداولية (Pragmatics) هي فرع من اللسانيات يدرس اللغة في علاقتها بمستعمليها وسياقات استعمالها[1]. فهي تهتم بـ**ما نفعله باللغة** وليس فقط **بما تعنيه اللغة** .وبهذا، تتجاوز التداولية الدراسة البنيوية الصرفة للغة، لتركز على الأبعاد التواصلية والاجتماعية والنفسية لاستعمال اللغة.

المبادئ الأساسية

من مبادئ التداولية الأساسية[2]:

السياق: المعنى يتحدد بالسياق التواصلي. فاللفظ الواحد قد يحمل معاني مختلفة بحسب السياق الذي يُستعمل فيه، والموقف التواصلي الذي يُنجز ضمنه.

القصدية: فهم مقاصد المتكلم ونواياه التواصلية. فالتواصل ليس مجرد نقل معلومات، بل هو فعل قصدي يهدف إلى التأثير في المخاطَب بطريقة معينة.

الاستلزام الحواري:ما يُفهم ضمنًا من الكلام دون أن يُصرح به. فكثير من المعاني التواصلية لا تُقال صراحة، بل تُستنتج من السياق ومن انتهاك ظاهري لبعض مبادئ التواصل.

المبحث الثاني: نظرية الحجاج في اللغة (أنسكومبر وديكرو)

المقولة الأساسية

كما سبق التطرق إليه في المحاضرة الرابعة، يرى أنسكومبر وديكرو أن **الحجاج كامن في بنية اللغة ذاتها**[3]. فالكلمات والصيغ النحوية تحمل توجيهًا حجاجيًا قبليًا، بمعنى أنها تقود المتلقي نحو استنتاجات معينة. وهذا يعني أن الحجاج ليس مجرد استخدام نضيفه إلى اللغة، بل هو خاصية متأصلة فيها.

مفهوم القوة الحجاجية

لكل ملفوظ **قوة حجاجية** تتحدد بالعناصـــر اللغوية المســتخدمة (الروابط، العوامل، الأفعال...)[4]. فالقوة الحجاجية لا تُقاس فقط بالمحتوى الإخباري للملفوظ، بل أيضًا بالأدوات اللغوية التي توجه تأويله. مثلًا:

- "الطقس جميل، لنخرج إلى الحديقة." (قوة حجاجية إيجابية تدعو إلى الخروج)
- "الطقس جميل، لكن لدي عمل." (قوة حجاجية سلبية بفعل "لكن" التي تقلب الاتجاه الحجاجي)

الروابط والعوامل الحجاجية

الروابط الحجاجية: وهي أدوات تربط بين ملفوظين (لكن، بل، حتى، إذن، لأن...)[5]. ولكل رابط وظيفة حجاجية محددة:

- **لكن** :تربط بين حجتين متعارضتين، وتُعطي الأولوية للحجة الثانية.
- **بل** :تصحيح حجاجي، والانتقال إلى حجة أقوى في نفس الاتجاه.
- **حتى** :تصعيد حجاجي، وإضافة حجة تُعتبر أقوى مما سبق.
- **إذن** :استنتاج حجاجي من المقدمات السابقة.

العوامل الحجاجية

وهي أدوات تُعدّل القوة الحجاجية للملفوظ (قليلًا، كثيرًا، تقريبًا، ربما...)[6]. فهي لا تربط بين ملفوظات، بل تؤثر في درجة القوة الحجاجية لملفوظ واحد:

- "نجح قليلًا." (تقليل من شأن النجاح)
- "نجح كثيرًا." (تعظيم النجاح)
- "نجح تقريبًا." (إضعاف القوة الحجاجية للنجاح)

السلالم الحجاجية

كل صنف حجاجي (مثل الحرارة، السرعة، الجمال) يشكل **سلمًا حجاجيًا** مكونًا من حجج مرتبة بحسب قوتها[7].

مثال (سلم الحرارة):

متجمد <بارد جدًا <بارد <فاتر <دافئ <حار <حار جدًا

واختيار موضـــع معين على الســـلم يوجه نحو نتيجة حجاجية محددة. فقول "الطقس فاتر" يوحي بنتيجة حجاجية مختلفة عن قول "الطقس متجمد."

المبحث الثالث: مبدأ التعاون ومسلمات غرايس

مبدأ التعاون

طور **بول غرايس** (Paul Grice) مبدأ التعاون الذي يقضي بأن المتحاورين يفترضون تعاون بعضهم مع بعض لإنجاح التواصل[8]. وهذا المبدأ ينص على أن المشاركين في حوار يتوقعون من بعضهم الإسهام بالطريقة المطلوبة في المرحلة المناسبة من الحوار، بما يتفق مع الغرض المشترك من التبادل الكلامي.

وهذا المبدأ يتفرع إلى أربع مسلمات[9]:

مسلمة الكم(Quantity) : قدّم القدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل. فالإفراط في المعلومات قد يكون مُضلِّلًا بقدر ما يكون التفريط فيها.

مسلمة الكيف(Quality) : قل الصدق، ولا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما ليس لديك دليل كافٍ عليه. فالصدق شرط أساسي لنجاح التواصل.

مسلمة المناسبة(Relation) : اجعل كلامك ذا صلة بالموضوع. فالخروج عن الموضوع يُعيق التواصل الفعال.

مسلمة الطريقة(Manner) :كن واضحًا ومرتبًا ومختصرًا، وتجنب الغموض واللبس. فالوضوح يُسهل الفهم ويُعزز الإقناع.

الاستلزام الحواري: عند خرق إحدى هذه المسلمات ظاهريًا، يُفهم معنى ضمني، وهو ما يُسمى **الاستلزام الحواري** (Conversational Implicature).[10] فالمتلقي يفترض أن المتكلم ما زال ملتزمًا بمبدأ التعاون، فيبحث عن معنى آخر غير المعنى الحرفي. مثلًا:

- سؤال: "هل أعجبك العرض المسرحي؟"
- جواب: "الممثلون كانوا يرتدون ملابس جميلة".

هنا خرق ظاهري للمسلمة المناسبة، لكن المعنى الضمني: العرض لم يكن جيدًا، لكنني لا أريد الجرح صراحةً. فالمتلقي يستنتج أن المتكلم تجنب الإجابة المباشرة لسبب، وهذا السبب هو عدم رغبته في الحكم السلبي الصريح.

المبحث الرابع: أفعال الكلام والحجاج

الأفعال التوجيهية

من أفعال الكلام **الأفعال التوجيهية** (الأمر، النهي، النصح، الطلب...)، وهي ذات طابع حجاجي واضح، إذ تهدف إلى حمل المخاطب على فعل أو تركه[11]. فقول "أغلق الباب" ليس مجرد إخبار، بل هو فعل إنجازي يسعى إلى التأثير في سلوك المخاطب.

الأفعال التقريرية الحجاجية

حتى **الأفعال التقريرية** (الإخبار، الوصف...) يمكن أن تكون حجاجية عندما تُستخدم لتوجيه رأي المتلقي[12]. مثلًا:

"الأسعار ارتفعت بنسبة 20%." (إخبار بقصد الاحتجاج على السياسة الاقتصادية)

فالإخبار هنا ليس محايدًا، بل يحمل موقفًا ضمنيًا من السياسة الاقتصادية، ويسعى إلى التأثير في موقف المتلقي منها.

المبحث الخامس: نظرية الملاءمة (سبيربر وويلسون)

طور **دان سبيربر** (Dan Sperber)و**ديردري ويلسون** (Deirdre Wilson)نظرية الملاءمة التي ترى أن التواصل يقوم على البحث عن **أقصى فائدة بأقل جهد معرفي**[13]. فالمتلقي يسعى دائمًا إلى تأويل الملفوظ بطريقة تحقق له أكبر قدر من الفائدة المعرفية مقابل أقل جهد في المعالجة. والحجاج الناجح هو الذي يوفر معلومات ملائمة بطريقة اقتصادية، أي الذي يحقق أقصى تأثير إقناعي بأقل تكلفة معرفية على المتلقي.

المبحث السادس: أمثلة توضيحية

مثال الروابط الحجاجية

- "الطقس بارد، لكنني سأخرج." (لكن: دحض الاستنتاج المتوقع)
- "الطقس بارد، لذا سأبقى في البيت." (لذا: ربط سببي)

الرابط "لكن" يقلب الاتجاه الحجاجي المتوقع من "الطقس بارد"، بينما "لذا" يعزز هذا الاتجاه.

مثال العوامل الحجاجية

- "نجح قليلًا." (تقليل من شأن النجاح)
- "نجح كثيرًا." (تعظيم النجاح)

العامل "قليلًا" يضعف القوة الحجاجية للنجاح، بينما "كثيرًا" يعززها.

مثال الاستلزام الحواري

- الأب لابنه: "هل أنهيت واجباتك؟"
- الابن: "لعبت كرة القدم مع الأصدقاء".

الاستلزام الضمني: لم أنهِ واجباتي. فالابن خرق مسلمة المناسبة ظاهريًا، لكن الأب يفهم من هذا الخرق أن الابن يتجنب الإجابة المباشرة لأنها سلبية.

مثال الفعل التوجيهي الحجاجي

"احذر من التدخين، فهو يدمر صحتك." الأمر هنا ("احذر") يحمل قوة حجاجية مدعومة بحجة عقلية (الضرر الصحي).

خاتمة

تُقدم اللسانيات التداولية مقاربة خصبة للحجاج، من خلال التركيز على الاستعمال الفعلي للغة في السياق. وتكشف نظرية الحجاج في اللغة عن كون الحجاج متأصلًا في البنية اللغوية ذاتها، عبر الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية. كما تسهم مبادئ غرايس ونظرية الملاءمة وأفعال الكلام في فهم الآليات التداولية للإقناع. وبهذا، تُظهر التداولية أن الحجاج ليس مجرد بناء منطقي مجرد، بل هو ممارسة تواصلية معقدة تتداخل فيها الأبعاد اللغوية والمعرفية والاجتماعية.

الهوامش:

(1) Levinson, Stephen C., *Pragmatics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), 1-53.

(2) المرجع السابق، ص 21-53.

(3) Ducrot, Oswald, *Le dire et le dit* (Paris: Éditions de Minuit, 1984), 5-33.

(4) المرجع السابق، ص 80-100.

(5)Anscombre, Jean-Claude, and Oswald Ducrot, *L'argumentation dans la langue* (Bruxelles: Mardaga, 1983), 23-89.

(6) المرجع السابق، ص 90-120.

(7) Ducrot, *Le dire et le dit*, 80-100.

(8) Grice, H. Paul, "Logic and Conversation," in *Syntax and Semantics*, vol. 3, *Speech Acts*, ed. Peter Cole and Jerry L. Morgan (New York: Academic Press, 1975), 45-47.

(9) المرجع السابق، ص 45-47.

(10) المرجع السابق، ص 49-57.

(11) Searle, John R., *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language* (Cambridge: Cambridge University Press, 1969), 54-71.

(12) Austin, John L., *How to Do Things with Words*, 2nd ed., ed. J. O. Urmson and Marina Sbisà (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1975), 4-38.

(13) Sperber, Dan, and Deirdre Wilson, *Relevance: Communication and Cognition*, 2nd ed. (Oxford: Blackwell Publishers, 1995), 118-171.

المحاضرة السابعة: الحجاج والعلوم المعرفية (مقاربة إبستمولوجية)

مقدمة

لم يعد الحجاج في الدراسات المعاصرة مجرد تقنية بلاغية أو لسانية تهدف إلى الإقناع الظاهري، بل أضحى موضوعاً مركزياً في "العلوم المعرفية (Cognitive Sciences) " التي تتقصى آليات اشتغال العقل البشري في إنتاج الحجج ومعالجتها .تسعى هذه المحاضرة إلى استكشاف الأبعاد الإدراكية للعملية الحجاجية، وتحليل دور التحيزات المعرفية والنماذج الذهنية في توجيه الاستدلال الحجاجي، وكيفية تحول الحجاج من فن بلاغي إلى عملية ذهنية معقدة تتداخل فيها علوم النفس، والذكاء الاصطناعي، ونظرية اتخاذ القرار.

المبحث الأول :الحجاج بوصفه عملية معرفية

يمثل الانتقال من البلاغة التقليدية إلى العلوم المعرفية تحولاً جذرياً في فهم الحجاج؛ فبينما ركزت البلاغة على "فن الإقناع"، تركز العلوم المعرفية على "آليات المعرفة" والعمليات الذهنية التي تجعل من الحجة مقبولة أو مرفوضة[1]. إن الحجاج في هذا السياق هو شكل من أشكال الاستدلال غير الصوري الذي يراعي السياق، واللغة، والمنظومة الاعتقادية للمتلقي، مما يجعله يتجاوز المنطق الصوري الجاف نحو منطق عملي يرتبط باتخاذ القرار[2].

المبحث الثاني :نظرية العقلانية المحدودة (Bounded Rationality)

قدم "هربرت سيمون (Herbert Simon) "مساهمة جوهرية من خلال مفهوم "العقلانية المحدودة"، مفترضاً أن البشر لا يتخذون قراراتهم بناءً على حسابات منطقية كاملة وشاملة، بل يعتمدون على "استراتيجيات مختصرة" (Heuristics) لتوفير الجهد المعرفي[3]. وينعكس هذا على الحجاج في كون الحجة الفعالة ليست بالضرورة هي الأكثر دقة منطقياً، بل هي الأكثر ملاءمة لقدرات المعالجة الذهنية لدى الجمهور، مما يفتح الباب أمام دراسة "الاقتصاد المعرفي "في العملية الحجاجية.

المبحث الثالث :التحيزات المعرفية وأثرها في الحجاج

تعد التحيزات المعرفية (Cognitive Biases)أنماطاً منهجية من الانحراف عن العقلانية في الحكم واتخاذ القرار، وهي تلعب دوراً حاسماً في قبول الحجج أو رفضها[4]. ومن أبرز هذه التحيزات التي توظف في السياق الحجاجي:

1 **انحياز التأكيد :(Confirmation Bias)** ميل الفرد للبحث عن المعلومات التي تؤيد معتقداته السابقة وتجاهل ما يفندها[5].

2 **تأثير الإرساء :(Anchoring Effect)** الاعتماد المفرط على أول معلومة يتلقاها العقل عند اتخاذ الأحكام.

3 **التفكير الجماعي :(Groupthink)** ميل الأفراد لمجاراة رأي الأغلبية لضمان القبول الاجتماعي.

المبحث الرابع :نظرية النماذج الذهنية والاستعارة المفاهيمية

يرى "فيليب جونسون ليرد "أن الاستدلال الحجاجي يتم عبر بناء "نماذج ذهنية "تمثل المواقف والعلاقات؛ فالحجة الناجحة هي التي تساعد المتلقي على بناء نموذج ذهني متسق وواضح[6]. وفي سياق متصل، طور "جورج فوكيال" و"مارك نوسنوج" نظرية "الاستعارة المفاهيمية"، مؤكدين أن تفكيرنا الحجاجي مبني على استعارات عميقة، مثل استعارة "الحجاج معركة"، حيث نستخدم مصطلحات مثل "هجوم"، "دفاع"، و"انتصار "لوصف النقاش، مما يوجه إدراكنا للعملية الحجاجية برمتها[7].

المبحث الخامس :الحجاج الحواري (Douglas Walton)

يؤكد "دوغلاس والتون" أن الحجاج عملية حوارية بطبيعتها، وأن تقييم جودة الحجة يعتمد على نوع الحوار (إقناع، تفاوض، استعلام)[8]. فالمعايير المعرفية تختلف باختلاف السياق الحواري، مما يجعل الحجاج نشاطاً اجتماعياً ومعرفياً متكاملاً يهدف إلى حل النزاعات أو بناء المعرفة المشتركة.

خاتمة

إن المقاربة المعرفية للحجاج تفتح آفاقاً جديدة لفهم كيفية تفاعل العقل مع الخطاب؛ فهي لا تكتفي بوصف البنية اللغوية للحجة، بل تغوص في الآليات الذهنية التي تحكم إنتاجها وتلقيها .إن فهم هذه الآليات، بما فيها التحيزات والاستعارات، يعد شرطاً أساسياً لتطوير وعي نقدي تجاه الخطابات الحجاجية المعاصرة.

الهوامش:

(1) سبربر، دان، ويلسون، ديردري. *الملاءمة: التواصل والإدراك*. ترجمة: مجموعة باحثين. (أكسفورد: بلاكويل، 1995)، ص 46-64.

(2) كانيمان، دانيال. *التفكير، بسرعة وببطء*. (نيويورك: فارار، ستراوس وجيرو، 2011)، ص 20-35.

(3) سيمون، هربرت. "نموذج سلوكي للاختيار العقلاني". *المجلة الفصلية للاقتصاد* 69، رقم 1 (1955): ص 99-118.

[4] كانيمان، دانيال، وتفرسكي، عاموس. "الحكم تحت عدم اليقين: الاستدلال والتحيزات". *مجلة العلوم* 185، رقم 4157 (1974): ص 1124-1131.

[5] جونسون ليرد، فيليب. *النماذج الذهنية: نحو علم معرفي للغة والاستدلال والوعي*. (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، 1983)، ص 127-189.

[6] المرجع نفسه، ص 150.

[7] فوكيال، جورج، وجونسون، مارك. *الاستعارات التي نحيا بها*. (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1980)، ص 3-51.

[8] والتون، دوغلاس. *مخططات الحجاج للاستدلال الافتراضي*. (نيوجيرسي: لورانس إيرلبوم، 1996)، ص 1-69.

المحاضرة الثامنة: الحجاج والخطاب متعدد الوسائط (الآليات والفاعلية)

مقدمة

في ظل التحولات الرقمية المعاصرة، لم يعد الخطاب الحجاجي مقتصرًا على الوسيط اللغوي المكتوب أو المنطوق، بل تمدد ليشمل "الخطاب متعدد الوسائط (Multimodal Discourse)" الذي يدمج بين اللغة، والصورة، والتوص، والحركة .تسعى هذه المحاضرة إلى تحليل كيفية اشتغال الحجاج في سياقات بصرية ورقمية متنوعة، مثل الإعلانات، والإنفوجرافيك، ومقاطع الفيديو، مع التركيز على الخصائص الحجاجية للصورة وآليات التفاعل بين النص والعنصر البصري لإنتاج أثر إقناعي مركب.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب متعدد الوسائط

يُعرف الخطاب متعدد الوسائط بأنه ذلك الخطاب الذي يوظف أكثر من نظام سيميائي في آن واحد لإنتاج المعنى[1]. إن تكامل الألوان، والأصوات، والرموز البصرية مع اللغة يخلق بنية حجاجية تتجاوز قدرات النص المفرد، حيث يساهم كل وسيط في تعزيز الأطروحة المركزية بطريقته الخاصة، مما يجعل العملية الإقناعية أكثر شمولاً وتأثيراً في المتلقي.

المبحث الثاني :الحجاج بالصورة (Visual Argumentation)

تمتلك الصورة قوة حجاجية ذاتية؛ فهي ليست مجرد أداة إيضاحية، بل يمكنها أن تقوم مقام الحجة الكاملة[2]. وتعتمد الصورة في حجاجها على عدة آليات:

1. **الرمزية والإيحاء:** استخدام رموز بصرية مشحونة بدلالات ثقافية (مثل الحمامة للسلام، أو الأسد للقوة).
2. **المقارنة البصرية:** عرض صورتين متقابلتين لإبراز الفوارق (مثل صور "قبل وبعد" في الإعلانات).
3. **الشاهد البصري:** استخدام الصور الفوتوغرافية كدليل مادي لا يقبل الشك على وقوع حدث ما.
4. **الإثارة العاطفية:** توظيف صور ذات حمولة وجدانية عالية لاستثارة تعاطف المتلقي وتوجيهه نحو تبني موقف معين[3].

المبحث الثالث :التفاعل بين اللغة والصورة

حدد "رولان بارت" (Roland Barthes) آليتين رئيستين للعلاقة بين النص والصورة:

- **الإرســـاء (Anchorage):** حيث يقوم النص بتحديد معنى الصـــورة وتثبيته، مانعاً تعدد التأويلات الممكنة[4].
- **المنـاوبـة (Relay):**حيث يتبـادل النص والصـــورة الأدوار في إنتاج المعنى، بحيث يـكـمـل أحـدهـمـا مـا عـجـز الآخـر عـن تـبـلـيـغـه. إن هذا التفاعل يضمن توجيه المتلقي نحو النتيجة الحجاجية المستهدفة بدقة عالية.

المبحث الرابع :الحجاج في الإعلان والإنفوجرافيك

يعد الإعلان نموذجاً مثالياً للحجاج البصـري، حيث يوظف اسـتراتيجيات متنوعة مثل "حجة السـلطة" (الاسـتعانة بالمشـاهير) أو "حجة الأغلبية"[5]. أما الإنفوجرافيك، فيقوم بتحويل البيانات المجردة إلى تمثيلات بصرية سهلة الفهم، مما يمنح المعلومات قوة حجاجية إضافية من خلال الترتيب البصـري، واختيار الألوان، وحجم الأشـكال، وهو ما قد يُسـتخدم أحياناً للتضليل عبر اختيار مقاييس رسم غير متناسبة[6].

المبحث الخامس: الحجاج في الفيديو ووسائل التواصل الاجتماعي

يجمع الفيديو بين الحركة والصوت واللغة، مما يمنحه قدرة فائقة على "السرد القصصي" (Storytelling) الذي يعد من أقوى الوسائل الحجاجية المعاصرة[7]. وفي وسائل التواصل الاجتماعي، يضـاف عنصـر "التفاعل" (التعليقات، المشـاركات) كعامل معزز لقوة الحجة، حيث تساهم "الانتشارية (Virality) "في خلق إجماع وهمي أو حقيقي حول أطروحة معينة عبر "التاغات" والوسوم.

خاتمة

إن الحجاج في العصـر الراهن أضـحى نشـاطاً عابراً للوسـائط، يتطلب من الباحث امتلاك أدوات تحليلية تتجاوز اللسـانيات لتشـمل السـيميائيات البصـرية وتحليل الخطاب الرقمي. إن الوعي بـآليـات التلاعـب البصـــري والتقني (مثـل التزييف العميق) يعـد ضـــرورة أخلاقيـة ومعرفية لحماية المتلقي من التضليل في بيئة اتصالية شديدة التعقيد.

الهوامش:

(1) كريس، غونتر، وفان ليوين، ثيو. *قراءة الصور: قواعد التصميم البصري*. (لندن: روتليدج، 2006)، ص 1-43.

(2) بيردسيل، ديفيد، وغروارك، ليو. "نحو نظرية للحجاج البصري". *مجلة الحجاج والمنافحة* 33، رقم 1 (1996): ص 1-10.

(3) المرجع نفسه، ص 5.

[4] بارت، رولان. "بلاغة الصورة". في *صورة، موسيقى، نص*. ترجمة: ستيفن هيث. (نيويورك: هيل ووانغ، 1977)، ص 32-51.

[5] فيليبس، باربرا، وماكوار، إدوارد. "ما وراء الاستعارة البصرية: تصنيف جديد للبلاغة البصرية في الإعلان". *نظرية التسويق* 4، رقم 1-2 (2004): ص 113-136.

[6] كريس وفان ليوين، *قراءة الصور*، ص 25.

[7] والتون، دوغلاس. *مخططات الحجاج للاستدلال الافتراضي*. (نيوجيرسي: لورانس إيرلبوم، 1996)، ص 45.

المحاضرة التاسعة: الحجاج في المعجم القرآني (الخصائص والآليات - 1)

أولاً: مقدمة إشكالية

لا يُوصف النَّص القرآني وصفاً وافياً بمقتضيات البلاغة الكلاسيكية وحدها، بل يستلزم ذلك توظيف آليات الدرس اللغوي المعاصر بما يتضمن التداوليات والحجاجيات والتحليل النقدي للخطاب. فقد انصرف البلاغيون العرب القدامى إلى رصد المحسِّنات اللفظية والمعنوية وجماليات التصوير، غير أن الأبعاد الإقناعية والحجاجية للمفردة القرآنية ظلَّت حاجةً إلى دراسة منهجية متكاملة تستعمل مناهج علم الحجاج الحديث.

تبرز إشكالية هذا البحث في محور جوهري: **كيف يشتغل المعجم القرآني بوصفه** نسقاً حجاجياً لا مجرد ذخيرة لفظية؟ وبعبارة أكثر دقة: **ما الآليات التداولية-الحجاجية** التي تجعل اللفظة القرآنية تنهض بوظائف إقناعية تتجاوز دورها الإخباري إلى توليد التصديق والالتزام والامتثال في نفس المتلقي؟ وكيف يتحول المعجم من مستوى الدلالة المعجمية إلى مستوى "الدلالة التداولية (Pragmatic) " (Meaningالمنتجة في السياق؟

للإجابة عن هذه الإشكاليات، تنبثق جملة من التساؤلات الفرعية:

أ) ما طبيعة العلاقة بين الدقة الدلالية للمفردة القرآنية وفاعليتها الحجاجية؟

ب) كيف تعمل التقابلات المعجمية والتكرار الوظيفي والحقول الدلالية أدواتٍ حجاجية في بنية النَّص القرآني؟

ج) ما القوة الإنجازية للأفعال الكلامية القرآنية وما أثرها في التوجيه الحجاجي للمتلقي؟

د) كيف ينسجم المنهج البلاغي التراثي مع المناهج الحجاجية المعاصرة في تحليل النَّص القرآني؟

ثانياً: الإطار النظري - المدارس المرجعية والمفاهيم الأساسية

1. التداولية وأسئلة المعنى في الاستعمال

تتأسس اللسانيات التداولية على دراسة المعنى في سياق الاستعمال، مستنيرةً بمسلَّمة جوهرية مفادها أن اللغة فعلٌ اجتماعي لا مجرد ترميز معلومات. وقد وضع الفيلسوف البريطاني جون أوستن (J.L. Austin) اللبنات الأولى لهذه النظرة حين ميّز بين الملفوظات التقريرية (Constatives) والملفوظات الإنجازية(Performatives) ، ليُقرَّ أن أقوالاً كثيرة لا تصف الواقع بل تُغيّره. (1) وقد طوَّر جون سيرل (J.R. Searle) هذا المنحى بصياغة نظرية الأفعال الكلامية في إطار أكثر تنظيماً وشمولاً، مُفرّقاً بين: الفعل اللفظي(Locutionary Act) ، والفعل الإنجازي(Illocutionary Act) ، والفعل التأثيري (Perlocutionary Act). (2)

وتستمد دراسة الحجاج القرآني من هذه الأُطر اشتغالَها التحليلي، إذ يُغري التمييزُ الثلاثي هذا بفهم كيف أن الملفوظ القرآني الواحد قد يحمل في آنٍ واحد: معنىً لفظياً، وقوةً إنجازية (وعدٌ، أمرٌ، تحذيرٌ، إخبار)، وأثراً تأثيرياً يصنع في المتلقي إيماناً أو خشيةً أو رجاءً.

2. مبادئ هيربرت بول غرايس وحجاج الضمني

قدَّم هيربرت بول غرايس (H.P. Grice) مبدأ التعاون (Cooperative Principle) وما يتفرع عنه من قواعد أربع :الكمِّية، والكيف، والصلة، والطريقة. (3) ويقوم هذا المبدأ على توقع اتباع المتكلم والمستمع لقواعد اقتصادية تحكم تبادل المعلومات. بيد أن ما يُعدّ انتهاكاً لهذه القواعد في سياقات عادية قد يُولِّد في الخطاب القرآني" استلزامات حوارية(Conversational Implicatures) " ذات طاقة حجاجية عالية. فحين يتجاوز القرآن في وصف نعم الله حدودَ الإفادة الخبرية الاعتيادية، فذلك إشارة إلى استلزام حجاجي يستدعي من المتلقي الاعتراف والامتنان والطاعة.

3. الحجاجيات الفرنسية: بيرلمان وديكرو وأونزو

اضطلعت المدرسة الفرنسية بدور محوري في تطوير نظرية الحجاج، ممثَّلةً بثلاثة روَّاد :شاييم بيرلمان (Chaïm Perelman)صاحب "البلاغة الجديدة" الذي أعاد الاعتبار للحجاج في الخطاب، مُميِّزاً بين الإثبات المنطقي الصوري وبين الحجاج الموجَّه للجمهور البشري. (4) يرى بيرلمان أن الحجاج يهدف إلى "استمالة العقول وكسب القلوب"، وهو ما يتلاقى تلاقياً وثيقاً مع المقصد القرآني في الهداية الشاملة للعقل والوجدان معاً. أما أوسفالد ديكرو (Oswald Ducrot) فقد أسَّس لنظرية" السُلَّم الحجاجي " (L'echelle argumentative)، مُبيِّناً أن الملفوظات تترتب في سُلم من الأقوى إلى الأضعف حجاجياً. (5) وقد مكَّنت هذه النظرية الباحثين من تحليل كيف يبني القرآن حججه من الأدنى إلى الأعلى، أو من المحسوس إلى المجرد، لإحكام التأثير في المتلقي. وبالتوازي مع ذلك، أسهم جان-كلود أونزو-(Jean Claude Anscombre) في صياغة نظرية "الحجاج في اللغة" (Argumentation dans la langue) التي تُثبت أن الدلالة الحجاجية ليست طارئة على اللغة بل مُدمجة في بنيتها.

.4الروابط الحجاجية والمقامات التداولية

يُفرِّق الدرس الحجاجي بين الروابط الحجاجية (Argumentative Connectors) **كالفاء والواو ولكن وبل وذلك أن** ونحوها، وبين المقامات التداولية (Pragmatic Contexts) التي تتحدد بها القوة الإنجازية للملفوظ. ففي قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ**﴾ (البقرة: 24)، يُوظَّف حرف الفاء رابطاً حجاجياً ينقل من شرط متعذِّر إلى نتيجة حتمية. كما أن المقام التداولي—وهو خطاب إلهي موجَّه لمخلوقات عاجزة—يُلقي بظلاله الثقيلة على أثر الملفوظ، محوِّلاً "التحدي البلاغي" إلى "حجة وجودية" دامغة.

تُصنَّف المقامات التداولية في ضوء **علاقة المتكلم بالمستمع، ودرجة التزام** المتكلم بمحتوى قوله، **ومدى إلزامية** الفعل الكلامي للمستمع. وتمتاز الحجة القرآنية بأن المتكلم—وهو الله سبحانه—يتمتع بسلطة مطلقة، والمستمع—وهو الإنسان—يجد نفسه في موقع المحاسَب المُلزَم، مما يمنح الأفعال الكلامية القرآنية قوةً تأثيرية لا مثيل لها في أي خطاب بشري.

ثالثاً :التحليل المفاهيمي - خصائص المفردة القرآنية الحجاجية

.1الدقة الدلالية وعدم القابلية للإحلال

يُقصد بالدقة الدلالية للمفردة القرآنية أن **كل لفظة تُوضع في موضعها المحدد الذي لا تسدُّه غيرها على وجه الكمال**، حتى وإن تقاربت المعاني بين الألفاظ. وهذه الخاصية تُسمَّى في الدراسات الأسلوبية "لا قابلية الإحلال" (Non-substitutability)، ويُعبِّر عنها النقد القرآني التراثي بمصطلح "الإعجاز التعبيري". (6) فالقرآن الكريم لا يختار لفظة "الرحمة" مجرد استحساناً، بل لأنها تحمل دلالة فياضة بالعطاء المتدفق الذي لا انقطاع له، خلافاً للفظة "المغفرة" التي تحمل دلالة إزالة الأثر الذنبي، أو "العفو" الذي يُشير إلى تجاوز المؤاخذة. وهكذا فإن كل مفردة تُقيم علاقة حجاجية خاصَّة مع المتلقي تختلف عن غيرها.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة إبراهيم: 42]. لفظة "تَشْخَصُ" هنا لا تُعادلها أي لفظة أخرى؛ فهي تُجسِّد بدقة متناهية الهول المُجمِّد للأبصار يوم القيامة، محدثةً صورةً حسيةً تُنتج حجةً على عظمة ذلك اليوم وشدة هوله.

فضلاً عن ذلك، فإن توظيف النفي الصريح "لا تحسبن" يُوجِّه التلقي الحجاجي توجيهاً مباشراً: يرفع توهُّمُ الغفلة الإلهية—وهو ما قد يستند إليه الظالم تبريراً لجرمه—ليَحلَّ محله يقينٌ بالمحاسبة الحتمية.

2. الثراء الإيحائي وتعدد مستويات الإقناع

يجمع المعجم القرآني بين طبقتين من الإقناع: **الإقناع العقلي** القائم على الدليل والشاهد، **والإقناع الوجداني** القائم على الصورة والانفعال. وهذا ما تُسميه البلاغة القديمة "الجمع بين الإقناع والإمتاع"، ويُقابله في الدِّراسات الحديثة ما وضعه أرسطو من مسارات إقناعية ثلاثة: الشعور(Pathos) ، والمصداقية(Ethos) ، والحجة المنطقية (Logos). (7) وتبلغ المفردة القرآنية ذروة فاعليتها حين تنجح في توحيد المسارات الثلاثة في آنٍ واحد.

يتجلى ذلك في لفظة "الطمأنينة" في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد: 28)، فهي تُفيد على الصعيد العقلي أن مصدر الاستقرار معروف ومحدد (ذكر الله)، وعلى الصعيد الوجداني تستدعي إيحاءاتٍ عميقة بالسكون والأمان، وعلى الصعيد التداولي تُقيم علاقةً سببية حجاجية (ذكر الله ← الطمأنينة) تُلزم المتلقي منطقياً: إن أردت الطمأنينة فعليك بالذكر. وهكذا تُنجز اللفظة الواحدة ثلاثة مستويات حجاجية متراكبة في آنٍ معاً.

3.المناسبة السياقية والاستجابة للمقام التداولي

يُقصد بالمناسبة السياقية أن المفردة القرآنية لا تُختار بمعزل عن السياق بل في تناغم كامل معه. وهذا ما يُعبِّر عنه علماء التفسير بـ"المناسبة بين الآيات"، ويُقابله في الدرس التداولي مبدأ "الملاءمة " (Relevance) الذي صاغه دان سبربر (Dan Sperber) وديردري ويلسون(Deirdre Wilson) . (8) فحين تتناول آياتٌ قومَ فرعون، يُوظَّف معجمٌ من حقل الطغيان والكبر والإفساد ("استكبر"، "علا"، "أفسد"، "طغا")، بينما حين تتناول آياتٌ المؤمنين يُوظَّف معجمٌ من حقل الخشوع والإنابة والرجاء ("أنابوا"، "خشعوا"، "توكلوا")، وهذا التوافق المعجمي-الموضوعاتي يُعمِّق الأثر الحجاجي بتوحيد الصورة والمعنى.

رابعاً :التقابل المعجمي وبنية الحجة الثنائية

1.مفهوم التقابل المعجمي وأنواعه

يُعدُّ التقابل المعجمي (Lexical Antonymy) من أكثر الآليات الحجاجية توظيفاً في القرآن الكريم، وهو يقوم على وضع ثنائيات ضدية في سياق واحد أو سياقات متقابلة لإجبار المتلقي على اختيار موقف من الثنائية المطروحة .ويُميِّز اللسانيون الحديثون بين ثلاثة أنواع من التقابل:

أ) التقابل التدريجي(Gradable Antonymy) : كالحار والبارد، حيث توجد درجات وسيطة.

ب) التقابل الأحادي(Complementary Antonymy) : كالذكر والأنثى، الحياة والموت، حيث نفي أحدهما إثباتٌ للآخر.

ج) التقابل الانتكاسي(Relational Antonymy) : كالبيع والشراء، الرب والعبد.

والقرآن يُوظِّف الأنواع الثلاثة، غير أن التقابل الأحادي يبرز بشكل لافت في سياق الحجاج العقدي؛ لأنه يُلغي أي موضع وسط ويُجبر المتلقي على التخيير الحاسم.(9)

2.التقابل الحجاجي وأثره في تحديد الهوية

يُبرز التقابل المعجمي القرآني أبعاداً هوياتية حاسمة؛ فحين يُقابَل بين الإيمان والكفر في سياق واحد تُطرح أمام المتلقي صورتان متبادلتان للهوية، فيجد نفسه مُضطرَّاً إلى تصنيف موقفه من أحد الطرفين. وهذا ما تُسميه سيميائيات التواصل "ثنائية التقابل الخطابي"، ويقابله في الفلسفة منطق الثالث المرفوع (Excluded Middle).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[التغابن: 2]، يُمثِّل نموذجاً جلياً لهذه الآلية: فالمتلقي يجد نفسه مصنَّفاً ضمن إحدى فئتين، والسياق الحجاجي يوضح أن التمييز الوجودي بين الفئتين

ليس عشوائياً بل هو اختيار مصيري بالغ الأثر. فضلاً عن ذلك، ذِكرُ الخلق الإلهي في صدر الآية ("هو الذي خلقكم") يُقيم حجةً مضمرة: المخلوق ملزَمٌ بمعرفة خالقه، فمن آمن فقد وفَّى بحق المعرفة، ومن كفر فقد تجاهل حق الإنعام.

3. التقابل في بنية الترغيب والترهيب

يُوظِّف القرآن التقابل بين معجم الثواب والعقاب استراتيجيةً حجاجيةً مُحكَمة، إذ يجعل المتلقي أمام خيارين متضادين تداعياتُهما واضحة: طريق الجنة ومعجمه (الفوز، النعيم، الرضوان، الجنات، الأنهار)، مقابل طريق النار ومعجمه (الخسران، الخزي، العذاب، الجحيم، السعير). وهذه المعادلة الثنائية الحجاجية تُستدعى دوماً في خضم الحث على الفعل أو الكف عنه، كقوله تعالى:

> ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: 37-41].

تتكشَّف هنا بنية حجاجية منطقية صارمة قوامها: الشرط ← السلوك ← النتيجة، مُؤطَّرة بتقابل معجمي حاد بين (الطغيان / الخوف)، و(الدنيا / المقام الرباني)، و(الجحيم / الجنة). وهذا التركيب يُمثِّل ما يُسميه بيرلمان "الحجة القياسية الكاملة" (Complete Syllogism) بصيغة خطابية فائقة البيان.

خامساً: التكرار المعجمي الوظيفي - حجاج الإلحاح والتثبيت

1. التكرار في الدرس الحجاجي

يُميِّز علماء البلاغة بين التكرار المذموم (الحشو والتكرار الخالي من الفائدة) والتكرار المحمود ذي الغرض البياني. ويُضيف الدرس التداولي-الحجاجي إلى هذا التمييز بُعداً إجرائياً: التكرار في الخطاب المقنِع هو آلية لإثبات الحجة في الذاكرة وإكساب الفكرة قوة الثبات الذهني. (10) وهذا ما تُثبته الدراسات النفسية المعرفية تحت عنوان "مبدأ التكرار والإلحاح" (Repetition and Emphasis Principle) الذي يُؤكد أن تكرار المعلومة في سياقات متنوعة يرفع احتمال تصديقها وتذكُّرها.

2. نموذج سورة الرحمن: تكرار السؤال الإنكاري

تُوظِّف سورة الرحمن آيةً تتكرر ثماني وثلاثين مرة:

> ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

وهذا التكرار ليس ترفاً أسلوبياً، بل هو اشتغال حجاجي دقيق يُحقق جملةً من الوظائف في آنٍ واحد:

أولاً - وظيفة التقسيم الحجاجي (Argumentative Partition): يَفصل كل تكرار بين نعمتين أو أكثر، فيُنبِّه المتلقي إلى أن كل نعمة بذاتها سببٌ كافٍ للشكر، وإن تكاثرت النعم تكاثرت الحجج.

ثانياً - وظيفة التصاعد التأثيري(Cumulative Pathos) : مع تواتر التكرار، يتراكم الأثر الوجداني في نفس المتلقي، فيصل إلى حالة من الاستسلام الطوعي أمام عظمة المُنعِم.

ثالثاً - وظيفة الاستفزاز الحجاجي(Argumentative Provocation) : الاستفهام الإنكاري "فبأي آلاء ربكما تكذبان؟" لا يطلب جواباً، بل يُجبر المستمع على الإجابة الضمنية التي لا تكون إلا الاعتراف بالنعمة. وهذا ما يُعدُّ في التداوليات "سؤالاً بلاغياً"(Rhetorical Question) يُنتج إجابتَه في ذهن المتلقي دون أن يُصرَّح بها.

3. التكرار بالمعنى لا بالحرف: قصص الأنبياء نموذجاً

يُوظِّف القرآن نمطاً ثانياً من التكرار يقوم على إعادة المحتوى الحجاجي ذاته بصيغ وألفاظ مختلفة عبر سور متعددة. وتقدِّم **قصص الأنبياء** المثال الأجلى على ذلك؛ إذ تعود حجة التوحيد وإبطال الشرك ودعوة الأمم مرةً بعد مرة، مُعاد صياغتها في قوالب سردية متجددة. ويُفيد ذلك في:

أ) تكييف الحجة مع سياقات دعوية متنوعة واحتياجات جماهير متباينة.
ب) تعزيز مبدأ "التواتر الخطابي" الذي يُكسب الحجة مصداقية الثابت المتكرر.
ج) إحداث تدرج حجاجي عبر تطور القصص وتراكم الأدلة والعِبَر.

سادساً: الأفعال الكلامية القرآنية وقوتها الإنجازية

1. تصنيف الأفعال الكلامية القرآنية

وفق تصنيف سيرل للأفعال الكلامية في خمس فئات (التأكيديات Assertives ، والتوجيهيات Directives، والالتزاميات Commissives ، والتعبيريات Expressives ، والإعلانيات Declarations)، يمكن توزيع الأفعال الكلامية القرآنية على النحو الآتي:

أ) التأكيديات(Assertives) : وهي ما يُخبر فيه القرآن بحقائق العقيدة والكون كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ (البقرة: 255). وتُحقق هذه التأكيديات حجتها عبر ما تتمتع به من موثوقية المصدر (الله) وشمولية المحتوى.

ب) التوجيهيات(Directives) : وهي الأوامر والنواهي والحثُّ والاستفهام .كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ (المائدة: 1). وتحمل هذه الأفعال "قوةً إنجازيةً" مباشرة تُلزم المتلقي بفعل أو بالكف عن فعل، مدعومةً بالسلطة المطلقة للمتكلم.

ج) الالتزاميات(Commissives) : وهي الوعد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ (آل عمران: 9). وتستمد هذه الالتزاميات قوتها الحجاجية من قدرة الله المطلقة وعلمه اللامحدود، مما يجعل الوعد يقيناً لا احتمالاً.

د) الإعلانيات(Declarations) : كقوله تعالى في ختام شعيرة الحج: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (المائدة: 3)، وهي أفعال كلامية يُحدث تلفُّظها بها الواقعَ الذي تصفه، وتمتلك أعلى درجة من القوة الإنجازية.

2.الافتراض المسبق وأثره الحجاجي

يُعدُّ الافتراض المسبق (Presupposition) من أهم الآليات التداولية في الحجاج القرآني؛ إذ هو المحتوى الذي يَعدُّه الملفوظ حقيقةً مسلَّمَ بها، دون أن يُصرّح به.(11) فحين يقول الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء: 36]، يَفترض الأمرُ مسبقاً أن المتلقين مُتأهِّلون لفهم العبادة والإشراك، وأنهم في موضع يستطيعون فيه الاختيار. وحين يُوجِّه القرآن أسئلةً استنكارية كـ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ و﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، فإنه يَفترض مسبقاً أن المخاطَبين يملكون العقل والذاكرة، وأن عدم التفعيل هو بفعلهم لا بعجزهم، مما يُقيم حجةً على المسؤولية الأخلاقية.

سابعاً: الحقول الدلالية الحجاجية وبنية الدليل

1. حقل الطبيعة: الدليل الحسي على قدرة الخالق

يستعير القرآن من حقل الطبيعة ألفاظاً مادية ملموسة (السماء، الأرض، الماء، النبات، الريح، النجوم) يُوظِّفها أدلةً حسيةً "من العيان" على وجود الله وقدرته ووحدانيته. وهذا الانتقال من المحسوس إلى المعقول هو ما يُسميه المناطقة "الحجة الاستقرائية"(Inductive Argument) . (12) وقوله تعالى :

> ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية: 17-20]،

يقوم على استدراج المتلقي إلى مشاهدة كيانات واقعة في متناوله (الإبل، السماء، الجبال، الأرض)، ثم يُحوِّل هذه المشاهدة إلى تساؤلات وجودية (كيف خُلقت؟ كيف رُفعت؟) تستوجب منطقياً إجابةً واحدة: خالقٌ مُدبِّر قدير. ويُلاحَظ أن التراتب الحجاجي ينتقل من الأقرب إلى الإنسان (الإبل المستخدمة يومياً) إلى الأشمل فالأوسع (الأرض كلها)، وهو تدرجٌ يخضع لمنطق السلم الحجاجي.

2. حقل الحواس: حجة المسؤولية المعرفية

يُوظِّف القرآن ألفاظ الحواس (السمع، البصر، الفؤاد) توظيفاً حجاجياً مزدوجاً: فهي أدوات المعرفة التي أنعم الله بها على الإنسان من جهة، ومواضع المساءلة عن استخدامها من جهة ثانية. وفي قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[سورة الإسراء: 36]،

تُبنى حجةٌ دقيقة بمراحل: النهي عن القفو ← تعليله بأن هذه الحواس مسؤولة ← والمسؤولية تستلزم الحذر في الاستخدام. وهكذا يُحوِّل القرآن الحواسَ من أدوات مجردة إلى عناصر في بنية أخلاقية حجاجية. كما يُلاحَظ التدرج: من السمع (الأشمل في الاستقبال المعلوماتي) إلى البصر (الأعمق في الإدراك) إلى الفؤاد (مركز الوعي والتدبر)، وهو تدرجٌ يَعكس أيضاً تصاعداً حجاجياً نحو المركز الجوهري للمسؤولية الإنسانية.

3. حقل الزمن: ربط الفعل بالعاقبة

يستعمل القرآن ثنائية الزمن (الدنيا / الآخرة، العاجل / الآجل) استراتيجيةً حجاجيةً كُبرى لإعادة تأطير (Reframing)رؤية المتلقي لقيمة الأفعال الإنسانية. فما يبدو رابحاً في الأفق القريب قد يكون خاسراً في الأفق البعيد، وما يبدو مُكلِّفاً في الحاضر قد يكون مُربحاً إلى الأبد. وهذا التأطير الزمني يُنتج حججاً عقلانية بامتياز: من تريد الفوز فأفضلُ الاستثمار هو ما يجلب الآخرة، والآخرة دائمة والدنيا زائلة. (13) وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (آل عمران: 185)، يُفكِّك القرآن بثلاث لفظات كثيفة الإيحاء وهمَ الانشغال بالدنيا: "متاعٌ" يُشير إلى قِصَر المدة والانتهاء، و"الغرور" يُشير إلى الزيف وخداع المظهر، مُنتجاً بذلك حجةً تشريطية: لا تغترَّ بما يغرُّك.

ثامناً: مناقشة نقدية ـ حدود المنهج وآفاق الدراسة

مع ما يُقدِّمه التأطير التداولي-الحجاجي للدراسة القرآنية من كسب منهجي كبير، لا بد من استحضار عدد من الملاحظات النقدية التي تُحدِّد آفاق هذا المنهج وقيوده:

أولاً ـ إشكالية نقل المناهج الغربية: تأسَّست التداولية ونظرية الحجاج في سياق ثقافي وفلسفي غربي، وتطبيقها على النَّص القرآني يستوجب تحفظاً منهجياً دقيقاً حتى لا تُسقَط مقولات غريبة عن النَّص. فمثلاً، مبدأ التعاون الغرايسي يفترض تكافؤاً ما بين طرفي الحوار، وهذا الافتراض لا ينطبق على العلاقة بين الخطاب الإلهي والمتلقي البشري. من هنا، يجب **توظيف هذه المناهج بوصفها أدواتٍ وصفية** لا أُطراً معيارية تُقيَّم في ضوئها نصوص تتجاوزها جوهراً وطبيعةً.

ثانياً ـ التمييز بين التحليل الوصفي والتأويلي: يجب الحرص على التمييز الدقيق بين: (أ) التحليل الوصفي الذي يرصد الآليات اللغوية والمعجمية كما هي دون تقييم، و(ب) التحليل التأويلي الذي يُسعى فيه إلى فهم المقاصد والأغراض، و(ج) التحليل النقدي الذي يُقيِّم فاعلية الخطاب في تحقيق أغراضه. (14) وخلط هذه المستويات الثلاثة أحد أكثر الأخطاء المنهجية شيوعاً في الدراسات البينية اللسانية-القرآنية.

ثالثاً ـ الإعجاز وما وراء الحجاج: يُدرك الباحث المتخصص أن الحجاج القرآني ليس مجرد استعمال اصطناعي للحيل الحجاجية المعروفة، بل هو بيانٌ يتجاوز حدود الحجاج الاعتيادي. فعلى حين يُقيم أي خطاب بشري حججاً قابلة للرد والمناقضة، فإن الحجاج القرآني يَبلغ الوضوح العقلي والتأثير الوجداني والإلزام الأخلاقي في آنٍ واحد. ولذلك فإن الدِّراسة التداولية-الحجاجية للقرآن لا تستنفد البيانَ القرآني، بل تُضيء بعض أوجهه لتستثير عجب الباحث أمام إعجازٍ أعمق.

تاسعاً: خاتمة تركيبية

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التركيبية الكاشفة:

1. المعجم القرآني نظامٌ حجاجيٌّ ذو بُعدين متلازمين: بُعدٌ لغوي يتعلق باختيار الألفاظ وترتيبها، وبُعدٌ تداولي يتعلق بسياق الاستعمال وقوة الفعل الكلامي وأثره في المتلقي.
2. الدقة الدلالية والثراء الإيحائي والمناسبة السياقية ليست خصائص جمالية فحسب، بل هي في جوهرها أدوات حجاجية تُعظِّم قدرة الملفوظ على التأثير والإقناع.
3. التقابل المعجمي يُقيم بنيةً حجاجيةً ثنائيةً تُلغي الحياد وتُجبر المتلقي على تحديد موقفه، وهو آليةٌ بالغة الفاعلية في الحجاج العقدي.
4. التكرار المعجمي الوظيفي آليةٌ بنائيةٌ متعددة الوظائف: التثبيت الذهني، والتصاعد التأثيري، والتقسيم الحجاجي، واستثارة الإجابة الضمنية في نفس المتلقي.
5. الأفعال الكلامية القرآنية تُجسِّد أعلى درجات القوة الإنجازية الممكنة، بحكم طبيعة المتكلم (الله) ومواصفات المتلقي (العبد المخلوق المكلَّف).
6. الحقول الدلالية المستعارة من الطبيعة والحواس والزمن تُقدِّم أدلةً حجاجيةً متكاملة تغطي المستوى العقلي الاستنتاجي، والمستوى الوجداني التأثيري، والمستوى الأخلاقي الإلزامي.

يُبرز كل ذلك مجتمعاً أن المعجم القرآني ليس مجرد وعاء للمفردات أو ذخيرة لغوية جامدة، بل هو منظومة حجاجية ديناميكية تشتغل بكفاءة استراتيجية فائقة عبر مستويات تداولية متشابكة ومتكاملة. وإن استثمار مناهج الدرس الحجاجي المعاصر في دراسة القرآن الكريم لَيُثري الدرسين كليهما: يُوسِّع آفاق التداولية واللسانيات بنماذج بيانية لا نظير لها، كما يُجدِّد فهمنا لإعجاز القرآن من زوايا منهجية متجددة لا تنضب.

الهوامش:

(1) Austin, J.L. How to Do Things with Words. Oxford University Press, 1962, pp. 1–24. يُميِّز أوستن في هذا الكتاب بين نوعي الملفوظات، مُؤسِّساً لما بات يُعرف بنظرية الأفعال الكلامية.

(2) Searle, J.R. Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge University Press, 1969, pp. 22–53. يُطور سيرل تصنيف أوستن ويضعه في إطار فلسفي أكثر نظامية.

(3) Grice, H.P. "Logic and Conversation." In: Syntax and Semantics, Vol. 3. Academic Press, 1975, p. 45. يُصيغ غرايس مبدأ التعاون في أربع قواعد) الكم، الكيف، الصلة، الطريقة (تُحكم التبادل الحواري.

(4) Perelman, Ch. & Olbrechts-Tyteca, L. The New Rhetoric. University of Notre Dame Press, 1969, p. 4. يُعرِّف المؤلفان الحجاج بأنه الفعل الخطابي الرامي إلى استمالة العقول لا إثبات الحقائق المنطقية الصورية.

(5) Ducrot, O. & Anscombre, J.-C. L'Argumentation dans la langue. Mardaga, 1983, pp. 7–32. تُؤسِّس هذه الدراسة لمفهوم السلم الحجاجي وآليات الترتيب الحجاجي في بنية اللغة ذاتها.

(6) الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. دار الكتاب العربي، 1973، ص 211. يُقيم الرافعي حجته على الإعجاز البياني من خلال إثبات لا قابلية الإحلال في ألفاظ القرآن.

(7) أرسطو. الخطابة. ترجمة: عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق، 2008، ص 12–16. يُفصِّل أرسطو المسارات الثلاثة للإقناع (Ethos, Pathos, Logos) في سياق نظريته البلاغية الشاملة.

(8) Sperber, D. & Wilson, D. Relevance: Communication and Cognition. Blackwell, 1986, pp. 118–132. تُطور نظرية الملاءمة مبدأ غرايس، مُؤكِّدةً أن التواصل يعتمد على مبدأ واحد هو السعي إلى أقصى أثر بأدنى جهد معالجة.

(9) يوسف، محمد محمد. خصائص التراكيب. مكتبة وهبة، 1996، ص 184–196. يُحلِّل المؤلف آليات التقابل في البنية العربية ووظائفها الدلالية والبيانية.

(10) الصولي، مصطفى. الحجاج في القرآن الكريم. دار الطليعة، 2001، ص 143–157. يُفصِّل المؤلف وظائف التكرار الحجاجي في القرآن ويُميِّز أنواعه ودرجاته.

(11) Levinson, S.C. Pragmatics. Cambridge University Press, 1983, pp. 167–182. يُؤصِّل ليفينسون مفهوم الافتراض المسبق ويُميِّزه عن الاستلزام الحواري ويضع شروط صدقه.

(12) العلوي، حافظ إســـماعيلي. الحجاج مفهومه ومجالاته. عالم الكتب الحديث، 2010، ص 78–95. يُقارن المؤلف بين الحجة الاستقرائية والحجة القياسية في ضوء نماذج قرآنية.

(13) طـه، عبد الرحمن. اللســـان والميزان. المركز الثقافي العربي، 1998، ص 214–228. يُناقش طـه إعادة التأطير الزمني (Reframing) بوصفه آليةً خطابيةً جوهرية في الحجاج الأخلاقي والديني.

(14) حمداوي، جميل. اللسانيات التداولية. دار المعرفة، 2014، ص 55–63. يُؤكد المؤلف ضرورة التمييز الصارم بين المستويات التحليلية الثلاثة في الدراسات اللسانية التطبيقية.

المحاضرة العاشرة: الحجاج في المعجم القرآني (الخصائص والآليات - 2)

مقدمة

تستكمل هذه المحاضرة ما بدأناه في المحاضرة السابقة حول الحجاج المعجمي في القرآن الكريم، مع التركيز على مستويات أكثر عمقاً تتعلق بالفروق الدلالية الدقيقة، ودلالات الاشتقاق الصرفي، وكيفية توظيف الأسماء والصفات الإلهية كحجج ختامية للآيات .إن الإعجاز المعجمي القرآني يتجلى في قدرة اللفظة الواحدة على حمل أبعاد حجاجية متعددة تتضافر مع السياق لإنتاج يقين لا يتزعزع لدى المتلقي.

المبحث الأول :الفروق الدلالية الدقيقة وأثرها الحجاجي

يتميز المعجم القرآني بنفي الترادف التام؛ فلكل لفظة خصوصية دلالية تميزها عن غيرها في السياق الحجاجي (1). ومن أمثلة ذلك:

- **القلب والفؤاد:** حيث يأتي "القلب" غالباً في سياق الاعتقاد والتفكر (مثل: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾)، بينما يأتي "الفؤاد" في سياق التأثر العاطفي والوجداني (مثل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾).
- **السمع والاستماع:**حيث يدل "السمع" على مجرد إدراك الصوت، بينما يدل "الاستماع" على القصد والاهتمام، وهو ما يوظف في سياق الحث على التدبر: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ (الأعراف: 204). إن هذه الدقة تمنع اللبس وتجعل الحجة القرآنية محكمة البناء.

المبحث الثاني: دلالات الاشتقاق الصرفي

يؤدي التغيير في الصيغة الصرفية وظيفة حجاجية محددة ترتبط بالزمن والتحقق (2):

5 **المصدر والفعل:** يدل المصدر على الثبوت والدوام (مثل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾)، بينما يدل الفعل على التجدد والحدوث.

6 **اسم الفاعل واسم المفعول:** يوظف اسم الفاعل للدلالة على من قام بالفعل بصفة مستمرة (مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾)، مما يعزز حجة الرقابة الإلهية.

7 **صيغ المبالغة:** (مثل: غفور، رحيم، علام) وتستخدم لتأكيد سعة الصفة وعظمتها، مما يقوي حجة الرجاء أو الخوف في نفس المتلقي.

المبحث الثالث: الأسماء والصفات الإلهية كحجج ختامية

تنتهي الكثير من الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى، وهي لا تأتي لمجرد الفاصلة، بل لتعمل كـــ "حجة ختامية" تؤكد مضمون الآية وتعلله (3). فإذا كانت الآية تتحدث عن التشريع، ختمت بـــ (عليم حكيم)، وإذا كانت تتحدث عن النصر، ختمت بـــ (عزيز قدير). إن هذا التناسب السياقي يمثل برهاناً ضمنياً على أن الحكم المذكور صادر عن ذات تتصف بتلك الصفات، مما يوجب الامتثال.

المبحث الرابع: دلالات الأزمنة الفعلية

يوظف القرآن الكريم "الالتفات الزمني" لأغراض حجاجية؛ فاستخدام الفعل الماضي للتعبير عن أحداث المستقبل (مثل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾) يهدف إلى تأكيد "حتمية الوقوع" ونفي الشك (4). بينما يستخدم الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار (مثل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾) لتأكيد ديمومة القدرة الإلهية.

المبحث الخامس: التجسيد والزاجز المعجمي

يعمد المعجم القرآني إلى "تجسيد المعاني (Reification) "لتحويل الأفكار المجردة إلى صور حسية ملموسة تزيد من قوة الإقناع (5). كما يوظف "الإيجاز بالحذف (Ellipsis) " لحذف ما يعلم من السياق، مما يشرك المتلقي في استنتاج الحجة ويحفز ذهنه للتدبر، كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها، لتركيز الحجة على المكان الذي شهد الحدث.

خاتمة

إن المعجم القرآني في مستواه الثاني يؤكد أن الإعجاز ليس في المفردة فحسب، بل في كيفية تطويع المادة الصرفية والدلالية لخدمة الغرض الحجاجي. إن هذا التلاحم بين اللفظ والمعنى والوظيفة يجعل من القرآن نصاً متفرداً في قدرته على الإقناع والتأثير عبر العصور.

الهوامش

1. الراغب الأصفهاني. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. (دمشق: دار القلم، 2009)، ص 15-25.
2. المهبايني، عبد الحميد. *الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم*. (دمشق: دار القلم، 2004)، ص 201-245.
3. الرافعي، مصطفى صادق. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، ص 256-280.
4. يوسف، محمد محمد. *خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، ص 180.
5. بطق، سيد. *التصوير الفني في القرآن*. (القاهرة: دار الشروق، 2004)، ص 45-60.

المحاضرة الحادية عشرة: الحجاج في التركيب القرآني (الآليات والوجوه - 1)

مقدمة

يمثل المستوى التركيبي (اليوحني) العمود الفقري للعملية الحجاجية في القرآن الكريم؛ فالمعنى لا يتحدد بالألفاظ المفردة فحسب، بل بكيفية نظمها وتأليفها في جمل وتراكيب محكمة. وكما ذهب عبد القاهر الجرجاني في "نظرية النظم"، فإن الإعجاز يكمن في العلاقات النحوية التي تخدم الغرض البلاغي والحجاجي (1). تسعى هذه المحاضرة إلى استكشاف الوجوه الحجاجية للتركيب القرآني، مع التركيز على آليات التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والأساليب الإنشائية.

المبحث الأول: التقديم والتأخير وأثره الحجاجي

يعد التقديم والتأخير من أبرز الوسائل التركيبية التي توجه هامت المتلقي نحو العنصر الأهم في الحجة (2). ومن أغراضه الحجاجية:

8 **القصر والصيصخت:** مثل تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لإفادة أن العبادة والاستعانة محصورة في الله وحده، مما يقطع الطريق على أي شركة.

9 **العناية والاهتمام:** تقديم ما هو أولى بالذكر في سياق الحجة لتثبيته في ذهن المتلقي.

10 **التشويق:** تأخير العنصر الأساسي في الجملة لخلق حالة من الترقب تزيد من قوة وقعه عند ذكره.

المبحث الثاني: الذكر والحذف الوظيفي

ليس الحذف في القرآن نقصاً، بل هو "حذف بليغ" يهدف إلى الإيجاز وتركيز الحجة على المسكوت عنه لتحفيز عقل المتلقي (3).

- **الحذف:** كما في حذف جواب القسم أو جواب الشرط لتهويل الأمر وتوسيع دائرة الاحتمالات المخيفة أو المبشرة، مما يزيد من الأثر الحجاجي.
- **الذكر:** ويستخدم في مواضع قد يتطرق إليها الشك، فيؤتى باللفظ صراحة لتأكيد الحجة ومنع التأويل، كذكر الفاعل صراحة في سياق التقرير.

المبحث الثالث: التعريف والتنكير ودلالاتهما الحجاجية

يؤدي اختيار الحالة الإعرابية للاسم (معرفة أو نكرة) دوراً حاسماً في توجيه الحجة:

- **التعريف:** يفيد العهد أو الاستغراق، كتعريف "الإنسان" بـــ (أل) الجنسية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ليشمل الحكم كل أفراد الجنس، مما يقوي الحجة الكلية.
- **التنكير:** ويفيد التعظيم (مثل: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾) أو التحقير أو التهويل (مثل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾)، وهو ما يخدم غرضي الترغيب والترهيب (4).

المبحث الرابع: الأساليب الإنشائية الحجاجية

تخرج الأساليب الإنشائية في القرآن عن معانيها الحقيقية لتؤدي وظائف حجاجية معقدة:

11 **الاستفهام الحجاجي:** ويأتي غالباً للتقرير (مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾) أو الإنكار التوبيخي (مثل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾)، مما يلزم المتلقي بالاعتراف بالحجة.

12 **الأمر والنهي:** ويخرجان إلى معانٍ مثل التعجيز (مثل: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾) أو التهديد، لإثبات عجز الخصم وقوة الحجة الإلهية (5).

المبحث الخامس: الالتفات التركيبي

يعد الالتفات (الانتقال من أسلوب إلى آخر، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب) أداة حجاجية فعالة لتجديد نشاط المتلقي الذهني وكسر الرتابة (6). إن هذا التحول المفاجئ يشد الانتباه ويجعل المتلقي في حالة تأهب لاستقبال الحجة، كما يساهم في تلوين الخطاب بين التعظيم والتقريب.

خاتمة

إن التركيب القرآني ليس مجرد قوالب نحوية، بل هو هندسة حجاجية دقيقة تتضافر فيها كل العناصر اللغوية لإنتاج خطاب معجز. إن فهم هذه الوجوه التركيبية يتيح للباحث إدراك كيفية بناء اليقين في النص القرآني عبر تلاحم النظم والمعنى.

الهوامش

1.الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود محمد شاكر. (القاهرة: مطبعة المدني، 1992)، ص 40-81.

2.السكاكي، يوسف بن أبي بكر. *مفتاح العلوم*. تحقيق: نعيم زرزور. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، ص 289-312.

3.الهاشمي، أحمد. *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. (بيروت: المكتبة العصرية، 2004)، ص 78-156.

4.يوسف، محمد محمد. *خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، ص 184-220.

5.المرجع نفسه، ص 200.

6.الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957)، ج 2، ص 156-234.

المحاضرة الثانية عشرة

الحجاج في التركيب القرآني

(الآليات والوجوه ـــ الجزء الثاني)

مقدمة: التركيب القرآني بوصفه هندسةً حجاجية

تستكمل هذه المحاضرة تحليل الوجوه الحجاجية للتركيب القرآني، منطلقةً مما أرسته المحاضرة السابقة من أُسس نظرية في تحليل الحجاج اللغوي، ومُضيفةً إليها تعمّقاً في أساليب بعينها تُمثّل الأعمدةَ التركيبية لآلة الإقناع القرآنية: أسلوبُ التوكيد، وبنيةُ الشرط، وأسلوبُ القسم، والجملُ الاعتراضية، وظاهرةُ الالتفات. وقد أجمع البلاغيون القدامى والمحدثون على أن هذه الأساليب ليست زينةً بلاغية وحسب، بل هي أدوات "الربط المنطقي" و"التعزيز الإقناعي" التي تمنح الحجة القرآنية صلابتها واليقين الذي ينبثق منها.[1]

وإذا كانت المحاضرات السابقة قد أثبتت أن المعجم القرآني نظامٌ حجاجي متكامل تُسهم فيه المفردةُ المفردة ذاتُ الدلالة الدقيقة غير القابلة للإحلال، فإن هذه المحاضرة تُثبت أن التركيبَ القرآني يُضاعف هذا الأثر الحجاجي ويُحكمه؛ إذ يُحوّل الكلمات المختارة إلى بنى إقناعية ذات منطق داخلي صارم يُلزم المتلقي العقلي والوجداني معاً. فالجملة القرآنية ليست مجرد رصف ألفاظ في نسق نحوي، بل هي كيان خطابي متكامل يُنتج المعنى الحجاجي في مستويات متداخلة.[2]

وتستند هذه المحاضرة إلى جملة من المرجعيات النظرية المزدوجة: أولها الموروث البلاغي العربي ممثَّلاً بالزمخشري وابن عاشور والجرجاني والزركشي وابن قيم الجوزية والسكاكي والسيوطي؛ وثانيها الأطر الحجاجية المعاصرة ممثَّلةً ببيرلمان وديكرو وأونزو وفان إيميرن وسيرل وأوستن وغرايس. ويُحرص في هذه الدراسة على عدم إسقاط أيٍّ من الإطارين على النص القرآني إسقاطاً تعسفياً، بل على توظيفهما توظيفاً وصفياً وصفاً يُعلي من قدر النص ويكشف عن أبعاد إعجازه البياني.[3]

المبحث الأول: أساليب التوكيد وأثرها الحجاجي

1-1. التوكيد في الإطار الحجاجي: الأساس التداولي

يُعدّ التوكيد أداةً حجاجيةً ضـــرورية تقوم بوظيفة جوهرية في بنية الخطاب الإقناعي: وظيفة إزالة الشـــك وتثبيت اليقين في ذهن المتلقي. فمن الناحية التداولية، لا يُوجَد التوكيد في الخطاب لمجرد الزيادة البيانية، بل استجابةً لحالة سيكولوجية-حجاجية مُحدَّدة لدى المتلقي: هي حالة الإنكار أو الشك أو التشكيك أو التردد. ولذلك قرّر علماء المعاني العرب قاعدةً بلاغية صـــارمة مفادها أن "الكلام يجب أن يكون بقدر الحاجة"، وأن مقتضى الحال—الذي هو أساس البلاغة—يُحدّد درجة التوكيد المطلوبة في كل موقف.[4]

وقد قسّـــم علماء البلاغة المخاطَبين إلى ثلاث فئات في ضـــوء موقفهم من المحتوى الخبري: الفئة الأولى "الخـالي الذهن" (الابتدائي) الذي لا يُشـــترط توكيد الخبر معه؛ والفئة الثانية "المتردد" (الطلبي) الذي يُستحسن توكيد الخبر معه بمؤكّد أو مؤكّدَيْن؛ والفئة الثالثة "المنكر" (الإنكاري) الذي يُوجَب توكيد الخبر معه بمؤكّدات متعددة بحسب درجة إنكاره. وينعكس هذا التصنيف الثلاثي في الخطاب القرآني الذي يتوزّع مخاطَبوه بين المؤمنين والمنافقين والمشـــركين والكافرين المُعانِدين، فتتفاوت درجات التوكيد تبعاً لذلك.[5]

ومن الزاوية التداولية الغرايسية، يُمثّل التوكيد المتعدد خرقاً ظاهرياً لقاعدة الكمّية (لا تُقدّم أكثر مما هو مطلوب)، لكنه في حقيقته انتهاك مقصـــود يُنتج اسـتلزاماً حوارياً ذا طاقة حجاجية عالية: "أؤكّد بهذه الدرجة لأن ما أقوله بالغ الأهمية وجليل الشأن ويستحق هذه الإصرار". وهذا الاستلزام الضمني يُضاعف قوة الحجة تضعيفاً في نفس المتلقي.[6]

2-1. أنواع التوكيد وآلياته الحجاجية

أ- التوكيد بالحروف والأدوات

تُوظّف حروف التوكيد في القرآن (إنّ، أنّ، اللام، قد، ما ونفي الجحود) توظيفاً دقيقاً يرتبط بطبيعة المتلقي ودرجة إنكاره. فحرف "إنّ" يُعدّ أقوى أدوات التوكيد الاسـتئنافية؛ لأنه يُصـدّر الجملة ببيان أن ما سيُقال يقين لا شك فيه. فحين يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ **[يونس: 44]**.

يتضـــافر في هذه الآية توكيدان: "إنّ" في صـــدر الجملة، و"لكنّ" في صـــدر المقابل، مما يُقيم بنيةً حجاجيةً مزدوجة: الأولى تُثبت نفي الظلم الإلهي توكيداً قاطعاً، والثانية تُثبت ظلم الإنســـان لنفســـه توكيداً مُقابِلاً يُزيل كل حجة للمُعتذِر. ويُلاحَظ أن المقابلة بين "الله" و"الناس أنفسهم" تُضيف إلى التوكيد اللفظي تقابلاً حجاجياً يُحكم الإلزام ويقطع الجدل.[7]

أما "لام الابتداء" فتُضـــاف إلى "إنّ" لمزيد التوكيد في ما يُســمّيه النحاة "التوكيد المتثاقل" (إنَّ + اللام)، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ **[البقرة: 243]**

حيث يجمع التركيب بين "إنّ" و"اللام" وتكرار "لكنّ"، وهو ما يُمثّل أعلى درجات التوكيد اللفظي في العربية، مُسـتدعِياً جمهوراً في أعلى درجات الإنكار أو الغفلة. وتُشـكّل هذه الدرجات المتصـاعدة من التوكيد ما يُسمّيه بيرلمان "التعزيز الحجاجي" .

ب- التوكيد بالتكرار اللفظي

يُوظّف القرآن التكرار اللفظي لغاية حجاجية تتجاوز مجرد إعادة المعلومة؛ إذ يُنتج التكرارُ المُعمَّقُ في السـياق القرآني دلالةَ "الإصـرار الإلهي" التي لا تُنتجها المرة الواحدة. ومثاله التكرار المشـهور في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ **[التكاثر: 3-4]**

فالتكرار هنا ليس حشـواً، بل هو ضـربان متتابعان من الردع (كلاّ) والوعيد (سـوف تعلمون) يُفيد مُجتمِعَيْن حجةً من مستويين: الأول في زمن الدنيا (حين يُدرك المشغول بالتكاثر خطأه)، والثاني في زمن الآخرة (حين يواجه الحساب الحتمي). وقد نبّه السيوطي في "الإتقان" إلى أن كثيراً من تكرار القرآن هو في الحقيقة تجديدٌ للتوكيد في مقامات متجددة، لا إعادةٌ لنفس المعنى بنفس السياق.

ج- التوكيد بالمفعول المطلق (المصدر المُوكِّد)

يُعدّ المفعول المطلق في التركيب القرآني من أدق أدوات التوكيد وأبلغها حجاجياً؛ لأن وظيفته الحجاجية الأسـاسـية هي نفي احتمال المجاز وتأكيد أن الفعل وقع على حقيقته التامة. ومن أجلى نماذجه: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ **[النساء: 164]**

ففي سـياق الخلاف العقدي حول كيفية التواصـل الإلهي مع الأنبياء، جاء "تكليماً" مصـدراً مؤكِّداً ليُفيد أن كلام الله لموســى كان كلاماً حقيقياً مباشــراً لا مجازياً ولا رمزياً ولا من وراء حجاب. وهذا ما يجعل هذا التوكيد الصـرفي حجةً عقدية في حدّ ذاتها، ترفع كل تأويل يُضـعف صـفة الكلام الإلهي. وهكذا يتحوّل الشكل النحوي البسيط (مفعول مطلق) إلى أداة حجاجية عقدية ذات أثر بالغ.[8]

المبحث الثاني: بنية الشرط والربط السببي-الحجاجي

2-1. الشرط بوصفه استدلالاً منطقياً مُضغوطاً

يُمثّل أسـلوب الشـرط في القرآن الكريم نموذجاً تطبيقياً بارعاً للاسـتدلال المنطقي المُضـغوط ؛ إذ يربط في بنية تركيبية موجزة بين قضــيتين: "فعل الســبب" (فعل الشــرط) و"وقوع الجزاء" (جواب الشرط). وهذا الربط السببي-الحجاجي يُلزم المتلقي عقلياً وأخلاقياً بالاعتراف بالنتيجة متى سلّم بالمقدّمة. فإن أراد الإنســان النتيجة الإيجابية (النصــر، الهداية، الفوز) أو أراد تفادي النتيجة السـلبية (الخسـران، الضلال، العذاب)، فلا سبيل إلى ذلك إلا بالالتزام بفعل الشرط.[9]

ومن الناحية المنطقية الصورية، يُقابل أسلوب الشرط ما يُسمّيه المنطقيون "القضية الشرطية" أو بناء "إذا-إذن" (If-Then). غير أن الشرط القرآني يتجاوز الصياغة الشرطية الجافة الخالصة إلى "الشرط الخطابي" الذي يُدمج في بنيته الاستدلالَ المنطقي بالاستثارة الوجدانية وتوجيه الإرادة، جاعلاً المتلقي فاعلاً في الحجة لا مجرد مُستقبِل لها.[10]

2-2. أنواع أدوات الشرط وتمايزها الحجاجي

يُميّز النحويون والبلاغيون العرب بين أدوات الشرط تمييزاً دقيقاً تتكشّف معه الوظائف الحجاجية المتمايزة لكل أداة. ويمكن استجلاء أبرز هذه التمايزات على النحو الآتي:

أ- "إنْ": شرط الاحتمال والإلزام المفتوح

تُستخدم "إنْ" للشرط المحتمل الوقوع، وهي الأداة الأكثر حيادية من حيث موقف المتكلم من وقوع الشرط أو عدمه. وتُنتج في الحجاج القرآني استدلالاً اندماجياً يجمع بين إثبات حرية الإنسان (فبمقدوره فعل الشرط أو تركه) وبين ربط الجزاء الحتمي بالاختيار الحر. كقوله تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ **[محمد: 7]**

يُقيم هذا الشرط علاقةً حجاجية ثنائية: نصر الله (الجزاء) مشروطٌ بنصر المؤمنين له (الشرط). والحجة الضمنية هنا ذات بُعدَيْن: أولهما "الحجة من العاقبة" (من أراد النصر فطريقه نصر دين الله)؛ وثانيهما "الحجة من السلطة" (والله الذي يعد بالنصر قادر على الوفاء به). وقد أبان ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية أن جواب الشرط المزدوج (ينصركم + ويثبّت) يُضاعف الوعد ويُكثّف الحجة.

ب- "إذا": شرط التحقق واليقين

تُستخدم "إذا" للشرط المتحقق أو المحقَّق المستقبل، وهي تحمل في بنيتها يقيناً مضمراً بوقوع الشرط لا مجرد احتمال. وهذا ما يجعل حججها أشد إلزاماً وأوقع تأثيراً؛ إذ لا تُقدّم للمتلقي فرضيةً للتأمل، بل حقيقةً محسومة الوقوع يُطلب منه أن يستعدّ لها. كقوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ**﴾ **[النصر: 1-3]**

فالنصر والفتح في الآية يُقدَّمان لا بصيغة الاحتمال بل بصيغة الحتمية ("إذا جاء"، لا "إن جاء")، مما يُحوّل الجواب (سبّح واستغفر) من مجرد توصية مشروطة إلى التزام واجب حتمي. وهذا ما يُسمّيه التحليل التداولي "الحجة من المسلَّمة".[11]

ج- "لو": شرط الامتناع والتحسُّر

تُستخدم "لو" الشرطية في القرآن للدلالة على "الامتناع لامتناع"، أي أن الشرط لم يتحقق فلم يتحقق الجواب. وهذه الأداة تُولّد نوعاً فريداً من الحجاج هو "حجة الفرصة الضائعة" أو "حجة التحسّر"،

التي تجعل المتلقي يُدرك قيمة ما فاته ويستشعر ثقل مسؤوليته عن ضياعه. كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ **[البقرة: 103]**

تتضافر هنا "لو" الشرطية مرتين: الأولى تُقيم علاقة الامتناع الحجاجية (آمنوا واتقوا = مثوبة خيرة، لكنهم لم يفعلوا فحُرموا)؛ والثانية تُضيف حجة "الجهل التفريطي" (لو كانوا يعلمون = لفعلوا، لكنهم لم يعلموا فلم يفعلوا). والجمع بين "لو" المزدوجة يُنشئ طبقتين من الاتهام الحجاجي: تفريطٌ في الإيمان، وقصورٌ في المعرفة.[12]

2-3. الشرط والترغيب-الترهيب: بنية الحافز الحجاجي

يتكشّف بُعد آخر للحجاج الشرطي القرآني حين يُنظر في توظيفه لإيجاد "منظومة الحوافز" التي تُحرّك الإرادة الإنسانية نحو الفعل أو الكف عنه. فالشرط الإيجابي (من يعمل خيراً يجد خيراً) يُؤسّس لحافز الرغبة (الترغيب)، والشرط السلبي (من يعمل شراً يجد شراً) يُؤسّس لحافز الخوف (الترهيب). وقد وُصف هذا النمط الشرطي المزدوج في أدبيات الحجاج المعاصرة بـ"حجة التضمين الثنائي" التي تُلغي كل موقف وسط وتُجبر المتلقي على الاختيار. ومثاله: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ **[الزلزلة: 7-8]**

تُقيم هاتان الآيتان نظاماً حجاجياً بالغ الاكتمال والإيجاز: فهما تغطيان كامل الطيف السلوكي (الخير والشر)، ودرجة الفعل الأدنى (مثقال ذرة)، ويقين الجزاء (يره لا يحتمل)، في أربع كلمات لكل شرط. وهذا الاقتصاد البياني الذي يبلغ درجة الكمال هو من أبرز خصائص الحجاج القرآني التي يعجز عنها البيان البشري.

المبحث الثالث: القسم الحجاجي وأبعاده الإقناعية

1-3. القسم في الإطار التداولي: فعل إعلاني بامتياز

يُمثّل القسم في القرآن الكريم نموذجاً فريداً من نماذج ما يُسمّيه سيرل "الأفعال الإعلانية" في نظرية الأفعال الكلامية؛ تلك الأفعال التي تُحدث الواقع الذي تصفه بمجرد التلفّظ بها في سياق السلطة المناسبة. فالقسم لا يصف صدقاً موجوداً بل يُؤسّسه ويُرسّخه ويجعله يقيناً غير قابل للمراجعة. وحين يُقسم الله سبحانه وهو المطلق العلم الصادق الوعد، فإن القسم يرتفع إلى مستوى لا يمكن لأي حجة بشرية أن تبلغه: إنه التوكيد المُطلق الذي يُلزم كل عاقل.[13]

وقد أفرد ابن قيم الجوزية لأنواع القسم القرآني وأغراضه كتاباً مستقلاً هو "التبيان في أقسام القرآن"، ميّز فيه بين أربعة أغراض حجاجية رئيسة للقسم: تأكيد صحة الخبر المُقسَم عليه؛ وتعظيم شأن المُقسَم عليه في نفس المتلقي؛ وتنبيه المتلقي إلى عظمة المُقسَم به وما فيه من آيات التوحيد؛ وقطع عذر المتلقي وإزالة كل مسوّغ للتشكيك. وهذه الأغراض الأربعة مجتمعةً تُشكّل ما يمكن تسميته "نظرية حجاجية متكاملة للقسم".[14]

3-2. القسم بالله: ذروة التوكيد الحجاجي

يُعدّ القسم بالله أعلى درجات التوكيد الحجاجي لأن المُقسَم به هو ذاته الضمانة المطلقة لصدق المُقسَم عليه؛ فلا شيء أعلى مرتبةً وأعظم شأناً وأكمل علماً مما يُقسَم باسمه. وحين يُقسم الله بذاته أو بصفاته لتوكيد حقيقة عقدية، فإن الحجة تصبح دائرة مُغلقة لا تحتمل الاعتراض: المُقسِم هو الله، والمُقسَم به هو الله، والمُقسَم عليه يقين لأن الله لا يُخلف وعده ولا يتناقض في قوله. كقوله تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**﴾ **[مريم: 68]**

يُلاحَظ هنا اقتران القسم ("فوربّك") بجواب توكيدي مُضاعَف (اللام + نون التوكيد الثقيلة: "لَنَحْشُرَنَّهم"، "لَنُحضِرَنَّهم")، وهو اقتران يُبلغ التوكيد درجته القصوى. ومن الناحية الحجاجية، يجمع هذا التركيب بين: حجة الموثوقية المطلقة (القسم بالرب)، وحجة الحتمية (اللام والنون)، وحجة التصوير المرعب للمآل (الحشر حول جهنم جاثية). وهذه الطبقات الثلاث من الحجج مجتمعةً تمنح المتلقي قدراً من اليقين الذي لا مجال معه للمساومة.[15]

3-3. القسم بالمخلوقات الكونية: الحجج البصرية الكبرى

يُوظّف القرآن الكريم المخلوقاتِ الكونية العظيمة مُقسَماً بها في بداية عدد من السور، مما يُحوّلها إلى "حجج بصرية كبرى" تُدعم المُقسَم عليه (جواب القسم) وتُضفي عليه من عظمتها. فالقسم بالشمس والقمر والنجوم والفجر والليل والعصر ليس قسماً بشيء عابر، بل هو قسم بآيات التوحيد المرئية التي يُشاهدها المتلقي يومياً. والحجة الضمنية هي: "انظر إلى عظمة هذه المخلوقات، ثم اعلم أن ما يُقسَم عليه بها هو من أعظم الحقائق وأجلّها". كقوله تعالى في مطلع سورة الشمس:

﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾

[الشمس: 1-7]

يُشكّل هذا المقطع تراكُماً حجاجياً مُتصاعداً من سبعة أقسام تنتقل من الكون الخارجي (الشمس، القمر، النهار، الليل، السماء، الأرض) إلى الكون الداخلي (النفس البشرية)، لتصل إلى جواب القسم: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ **[الشمس: 9-10]**

فالسبعة أقسام المتراكمة تُمثّل قاعدةً حجاجيةً عريضة ترفع حقيقة واحدة: الفلاح مرتبط بتزكية النفس، والخيبة مرتبطة بإدسائها. وهذا ما يُسمّيه بيرلمان "التعزيز التراكمي للحجة"، حيث تُضاف حجة إلى حجة حتى تصبح النتيجة تحصيلَ حاصلٍ لا تحتاج إلى مزيد إثبات.

ومن الزاوية السيميائية، يُشكّل الانتقال من المُقسَم به (الكون الخارجي والنفس) إلى المُقسَم عليه (تزكية النفس وإدساؤها) انتقالاً مُحكَماً من الشاهد المحسوس إلى الحكم الأخلاقي-الوجودي، وهو انتقالٌ يُعكس المنطق الاستقرائي الكبير الذي يُؤسّس عليه القرآن كثيراً من حججه الكونية.(16)

المبحث الرابع: الجمل الاعتراضية والوظيفة الحجاجية التكميلية

4-1. الجملة الاعتراضية: تعريفها وموقعها من البنية الحجاجية

تُعرَّف الجملة الاعتراضية في البلاغة العربية بأنها جملة تتوسّط بنية النص الرئيسية أو تُدرَج فيها دون أن تكون جزءاً من إعرابها المباشر، والغرض منها إضافة معنىً تكميلي يُعزّز الحجة الرئيسية أو يُوجّه تأويلها. وقد عنيَ بها الجرجاني عنايةً بالغة في "دلائل الإعجاز"، مُبيّناً أنها ليست تحشيةً زائدة بل هي معلومة تداولية ضرورية تُضبط إطار الفهم وتُرشّد التأويل.(17)

ومن منظور التداولية المعاصرة، تُؤدي الجملة الاعتراضية وظيفة "الفعل الكلامي غير المباشر": فبدلاً من أن يُقول المتكلم حكمه أو تقييمه صراحةً في جملة مستقلة، يُدرجه في موضع الاعتراض داخل سياق آخر، مما يُكسبه قوة الأمر المُسلَّم به الذي لا يُساءل لأنه لم يُطرح كادّعاء قابل للنقاش. وهذا ما يُحوّل الجملة الاعتراضية إلى آلية لـ"تصريف المُسلَّمات الحجاجية".(18)

4-2. وظائف الجمل الاعتراضية الحجاجية

أ- التنزيه والردّ الفوري

يُوظّف القرآن جمل الاعتراض في سياق ردّ الفِرَى وإنكار الباطل فور ذكره، دون أن يُقطع سياق الآية. ومثاله: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ**﴾ **[النحل: 57]**

جاء الاعتراض بـ"سبحانه" في لحظة ذكر الفرية (نسبة البنات إلى الله) اعتراضاً آنياً فورياً يُنفيها قبل أن يُكمل السياق. وهذا التوقيت الاعتراضي الآني هو ما يُعطيه قوةً حجاجيةً لا تكون لو قِيل في نهاية الآية؛ فالردّ اللحظي بالتنزيه يُبيّن أن المفهوم نفسه يُرفض قبل أن يُكتمل التصريح به، مما يُضفي على التنزيه طابع الحكم الثابت الراسخ الذي لا يحتاج إلى بحث ونقاش. ويُسمّي فان ديك هذا النمط الخطابي "الهيمنة التفسيرية".(19)

ب- التنبيه على عظمة الأمر وإثارة الانتباه

يُوظّف القرآن الاعتراض أحياناً لإدراج تنبيه متعلق بأهمية ما يُقال أو يُقسم به، كقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ - لَّوْ تَعْلَمُونَ - عَظِيمٌ**﴾ **[الواقعة: 76]**

يُدرَج الاعتراض "لو تعلمون" بين الصفتين المتلازمتين (قسم / عظيم) ليُحدث توقفاً ذهنياً مقصوداً يُنبّه المتلقي إلى أن ما سيسمعه هو من الأهمية بحيث يُستحق التوقف عنده. والحجة الضمنية في هذا الاعتراض بالغة الأثر: "لو كنتم تعلمون حقيقة هذا القسم لأدرك عقولكم هولُه"، مما يُثير في المتلقي

شعوراً بالقصور المعرفي يدفعه إلى الاستماع باهتمام متصاعد. ويُسمّي بيرلمان هذا الأسلوب "حجة التعظيم التمهيدي".

ج- الوظيفة التفسيرية-التبريرية

تؤدي الجمل الاعتراضية أحياناً وظيفة تفسير الحكم أو تبرير الأمر قبل أن يُعترض عليه، فتكون في مثابة "مُدافِع استباقي" يُسدّ ثغرات الاعتراض قبل أن يطرحها المتلقي. فحين يقول تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ - إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 168]

يُعلّل النهي باعتراض تبريري ضمني: لا تتبعوه "لأنه عدوّكم المبين"، وهذا التعليل يُحوّل النهي من أمر سلطوي مجرّد إلى نصيحة مبرهنة يقبلها العقل قبل أن يُلزم بها الشرع. وهذا الجمع بين الإلزام والتعليل هو من أرقى استراتيجيات الإقناع التداولي.[20]

المبحث الخامس: الالتفات وتجديد النشاط الذهني والحجاجي

5-1. الالتفات بوصفه كسراً مقصوداً للتوقع

الالتفات في البلاغة العربية هو الانتقال من ضمير إلى آخر أو من زمن إلى آخر بصورة غير متوقعة في سياق الكلام. وهو ليس خروجاً عشوائياً عن القاعدة، بل هو كسرٌ مقصودٌ للتوقع اللغوي يستهدف استنهاض ذهن المتلقي وإعادة توجيه انتباهه نحو معنى جديد. وقد رصد الجرجاني في "دلائل الإعجاز" كيف أن هذه الانتقالات المفاجئة في الضمائر والأزمنة تحمل دلالات حجاجية وأسلوبية عميقة تُعمّق الأثر الوجداني وتُغني التجربة الإقناعية.[21]

ومن المنظور التداولي، يُمثّل الالتفات انتهاكاً مقصوداً لمبدأ الاتساق الضميري الذي ينتظره المتلقي في الخطاب الاعتيادي. وهذا الانتهاك المقصود يُنتج "استلزاماً حوارياً" دالاً: ثمة سبب وجيه لهذا الانتقال المفاجئ، وعلى المتلقي أن يُعمّق تأمله لاستجلائه. وهذا ما يُحوّل المتلقي من مستقبِل سلبي إلى مُشارِك إيجابي في بناء الدلالة.[22]

5-2. أنواع الالتفات ووظائفه الحجاجية

أ- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

أشهر نماذج الالتفات في القرآن وأبلغها حجاجياً هو الانتقال الكبير في سورة الفاتحة: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** ثم يأتي الالتفات المفاجئ: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1-5]**

ينتقل الخطاب من الإخبار عن الله بصيغة الغائب (الله، ربّ، الرحمن، مالك) إلى مخاطبته مباشرةً بضمير المواجهة (إيّاك). وهذا الالتفات يُحدث في نفس المتلقي تحولاً وجدانياً وحجاجياً عميقاً: فبينما

كانت الآيات الأولى تُقيم حجةً وصفية (هذا هو الله وهذه صفاته)، ينتقل بعدها إلى حجة خطابية مباشرة (وأنت الذي نوجّه إليه العبادة والاستعانة). وقد أبان ابن عاشور أن هذا الالتفات يُحقق "التدرّج من التعظيم إلى المناجاة"، وهو تدرّج يجعل المتلقي يُحسّ بأنه انتقل من التأمل في عظمة الله إلى الوقوف بين يديه مباشرةً.[23]

ب- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

وقد يسلك القرآن المسلك العكسي: الانتقال من مخاطبة المتلقي مباشرةً إلى الحديث عنه بصيغة الغيبة، وهو ما يُنتج أثراً حجاجياً مغايراً. فالحديث عن الشخص بصيغة الغيبة في حضرته يُشعره بأنه موضوع نقاش ومحاسبة أمام الآخرين، مما يُعمّق شعوره بالمراقبة والمساءلة. كقوله تعالى بعد خطاب المؤمنين مباشرةً:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]

ففي تعقيب كهذا يأتي عن المُخاطَبين بصيغة الغيبة (أولئك = هم) ما يُشعرهم بأنهم يُستشهَد بهم أمام جمهور أوسع أو في سياق الكون كله، مما يُضيف إلى الحكم بُعداً تشريفياً إيجابياً أو توبيخياً سلبياً لا يبلغه الخطاب المباشر وحده.[24]

ج- الالتفات في الأزمنة: من الماضي إلى المضارع

يُوظّف القرآن الانتقالَ بين الأزمنة (من الماضي إلى المضارع أو العكس) توظيفاً حجاجياً بارعاً. فالفعل الماضي يُثبّت الحدث ويجعله يقيناً منجزاً، والمضارع يُحضره أمام المتلقي ويجعله حيّاً متجدداً. فحين يُحدّث القرآن عن أحداث الخلق أو أحداث الأمم السابقة بالفعل المضارع في سياق الاستدلال، فإنه يجعل هذه الأحداث حاضرةً أمام المتلقي كأنه يشهدها، مُحوّلاً الدليل التاريخي إلى دليل مُعايَن يمتلك طاقة إقناعية أقوى بكثير من الحدث المنقول بصيغة الماضي البعيد.[25]

المبحث السادس: تكامل الأساليب الحجاجية في النسيج التركيبي القرآني

1-6. الهندسة الحجاجية المتكاملة: حين يتضافر التوكيد والشرط والقسم

لا يشتغل أيٌّ من هذه الأساليب الحجاجية منعزلاً في الغالب، بل يتضافر عدد منها في النصّ القرآني الواحد لإنتاج ما يمكن تسميته "الهندسة الحجاجية المتكاملة". وهذا ما يجعل الحجة القرآنية مُتعددة الطبقات والمستويات، فلا يُمكن للمتلقي "الالتفاف" عليها من جهة واحدة لأن كل جهة تُواجهه بمستوى مختلف من الإلزام. ويظهر ذلك جليّاً في سورة الواقعة التي تجمع في مطلعها بين التوكيد القاطع وأسلوب الشرط ونفي الاحتمال:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: 1-3]

تجمع هذه الآيات بين: شرط التحقق (إذا وقعت)، ونفي احتمال الكذب (ليس لوقعتها كاذبة)، وتقابل التضـاد (خافضـة رافعة). وهذا الجمع يُؤسّـس لحقيقة واحدة من ثلاثة مداخل حجاجية متكاملة، مُقيّداً كل مسلك للإنكار قبل أن يُفتَح.(26)

6-2. التكامل الحجاجي في سياق الإقناع والهداية

إن الغرض الأعلى من هذا التكامل بين الأسـاليب الحجاجية هو تحقيق ما يُسـمّيه بيرلمان "الإقناع الشـامل": الإقناع الذي لا يخاطب العقل وحده ولا الوجدان وحده ولا الإرادة وحدها، بل يُخاطب الإنسـان كياناً متكاملاً في آنٍ واحد. فالتوكيدُ يخاطب العقلَ ويقطع شكّه، والشرطُ يخاطب الإرادةَ ويُوجّه اختيارها، والقسمُ يخاطب الوجدانَ ويُرسّخ اليقين، والاعتراضُ يُسدّ الثغرات الحجاجية قبل أن تُفتَح، والالتفاتُ يجدّد الانتباه ويُعمّق الانخراط. ومجموع هذه الأساليب مجتمعةً يُنتج خطاباً حجاجياً لا تُوجد له نظير في التاريخ البياني البشري.

ويُضـيف طه عبد الرحمن إلى هذا التحليل بُعداً فلسـفياً-أخلاقياً: فالغاية من هذه الهندسـة الحجاجية المتكاملة ليست "الإخضاع" و"الإلزام القسري" كما في الحجاج السلطوي البشري، بل هي "الاستنهاض الحر للعقل والقلب" نحو الحق. ولذلك يُقيم القرآن حججه الكبرى على ما هو مشـترك بين جميع البشـر: الفطرة السليمة، والعقل المستقيم، وشاهد الطبيعة والكون، وذاكرة التاريخ البشري. وهذا ما يجعل الحجة القرآنية عابرةً للزمان والمكان، صالحةً لكل متلقٍّ يُحسن الاستماع والتدبّر.(27)

6-3. ملاحظة نقدية: حدود التحليل التداولي-الحجاجي للقرآن

لا يخلو التطبيق المنهجي لأطر الحجاج الغربية على النص القرآني من إشـكاليات جوهرية ينبغي على الباحث الأكاديمي المنضـبط أن يسـتحضـرها باسـتمرار: أولى هذه الإشـكاليات الخلطُ بين مسـتوى الوصـف (ما يفعله التركيب القرآني) ومسـتوى الحكم القيمي (لماذا هو أفضـل من غيره). فالتحليل الحجاجي ينتمي إلى المسـتوى الأول دون أن يكون ذلك انتقاصـاً من شـأن الإعجاز. وثانيتها أن مفاهيم كـ"الجمهور الافتراضـي" و"شـروط التعاون الحواري" مُصـاغة لخطابات بين أنداد، وهي لا تنطبق إسـقاطاً مباشـراً على العلاقة بين الخطاب الإلهي والمتلقي البشـري، ما يسـتوجب التعامل معها بوصـفها أدوات وصـفية لا حاكمة. وثالثتها أن قوة الحجة القرآنية الحقيقية ليسـت في آلياتها التركيبية وحدها — مهما بلغت دقتها — بل في تضـافرها مع الصـدق المطلق للمصـدر، وهو عنصـر لا يدخل في نطاق أي نظرية حجاجية بشرية.(28)

خاتمة: نحو فهم أعمق لهندسة الإقناع القرآني

كشفت هذه المحاضرة أن أساليب التوكيد والشرط والقسم والجمل الاعتراضية والالتفات في القرآن الكريم ليست زينةً بلاغيةً منفصلة ولا ترفاً أسلوبياً، بل هي أُطر بنيوية للهندسة الحجاجية التي تُحكم سبيل

وصـــول الحجة إلى عقل المتلقي ووجدانه في آنٍ معاً. وقد تجلّى من التحليل أن كل أســـلوب من هذه الأســاليب يُؤدي وظيفةً حجاجيةً خاصــة به: التوكيد يُزيل الشـك ويُغلق باب التردد، والشـرط يُقيم الرابط المنطقي الحتمي بين الفعل وعاقبته، والقسم يُؤسّس اليقين المطلق انطلاقاً من سلطة المُقسِم وعظمة المُقسَم به، والجمل الاعتراضية تُسدّ الثغرات الحجاجية وتُوجّه التأويل، والالتفات يُجدّد الانتباه ويُعمّق الانخراط الوجداني.[29]

وأهمّ ما يستفيده طالب الماستر من هذه الدراسة: إدراكُ أن الشكل والمضمون في القرآن الكريم متلازمان تلازماً عضـوياً لا يقبل الفصـل؛ فاللفظة المختارة والتركيب المُصـاغ والأسـلوب المُوظَّف والسـياق المُلاءَم — كل ذلك يعمل في تناغم واحد لتحقيق الغاية الإقناعية-الهدائية القصـوى. ولذلك فإن تجزئة هذا التحليل والاقتصـار على جانب واحد دون غيره — التركيبي وحده أو المعجمي وحده أو السياقي وحده — يُفضي حتماً إلى رؤية قاصرة لا تُوفي النصَّ حقّه.[30]

وتفتح هذه الدراسـة أفقاً بحثياً رحباً لأسـئلة لا تزال في حاجة إلى اسـتقصـاء عميق: كيف تتفاوت توظيفات هذه الأســاليب بين المكي والمدني من القرآن؟ وكيف تُســهم هذه الأســاليب مجتمعةً في بناء "الصـــورة الحجاجية" للخطاب القرآني عبر الســـور والموضـــوعات المختلفة؟ وما أثر تعدد القراءات القرآنية المتواترة في تجديد الطاقة الحجاجية للتركيب؟ وكيف يُمكن لهذه المناهج التحليلية أن تُســهم في تجديد علم التفسير وتوسيع آفاقه بما يُيسّر تلقّي الحجة القرآنية في السياق الثقافي المعاصر؟ إن هذه الأسئلة المفتوحة هي ما يُقيم الجســر الحقيقي بين الدرس البلاغي التراثي والبحث اللســاني المعاصــر في خدمة النص القرآني العظيم.[31]

— انتهت المحاضرة —

الهوامش:

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984، ج1، ص 87-102. وهو أحد أرقى التفاسير التي تجمع بين عمق البلاغة وسعة العلم اللغوي، وكثيراً ما يستوقف القارئَ أمام الوجوه الحجاجية الخفية في التركيب القرآني.

[2] بيرلمان، شـاييم، وأولبرخت-تيتيكا، لوسـي. *معالجة الحجة: البلاغة الجديدة*. ترجمة: محمد صـالح الجابري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011، ص 4-28. ويُقدّم بيرلمان في هذا الكتاب الكلاسيكي تصـنيفاً شـاملاً للحجج البلاغية، ومنها "حجة الموثوقية" التي تُشـكّل الأسـاس التداولي لفهم وظيفة التوكيد الحجاجية.

[3] ديكرو، أوسفالد، وأونزو، جان-كلود. *الحجاج في اللغة*. ترجمة: عبد الله صولة. صفاقس: دار المحيط، 2012، ص 35-65. ويُبيّن الكتاب كيف أن الروابط والأدوات اللغوية تحمل في بنيتها توجيهاً حجاجياً مُدمَجاً، لا يُضـاف إليها من خارج، وهو ما ينطبق تمام الانطباق على حروف الشـرط والتوكيد القرآنية.

[4] *انظر في أســاليب التوكيد وأثرها الحجاجي في اللغة العربية:* الســكاكي، يوســف بن أبي بكر. *مفتاح العلوم*. تحقيق: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص 312-345. ويُعدّ الكتاب أحد أبرز المؤلفات البلاغية التراثية التي عالجت التوكيد بتفصـيل دقيق، مع بيان درجات إنكار المتلقي وتوافق أساليب التوكيد معها.

[5] الســيوطي، جلال الدين. *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضــل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصــرية، 2003، ج2، ص 134-178. ويتضـمّن هذا المرجع الموسـوعي أبواباً تفصـيلية في أسـاليب التوكيد والشـرط والقسـم والالتفات في القرآن الكريم، تُشـكّل قاعدة تراثية راسـخة لأي دراسة تحليلية حديثة.

(6)غرايس، هيربرت بول. "المنطق والمحادثة". في: *بناء اللغة*. ترجمة: سيف الدين دغفوس. تونس: دار المعرفة، 2010، ص 45-55. ومن منظور الاستلزام الحواري، تُعدّ أدوات التوكيد خرقاً مقصوداً لقاعدة الكمّية؛ إذ تُضيف ما يبدو تكراراً غير مُبرَّر في الظاهر لكنه يُنتج دلالة حجاجية إضافية في الباطن.

(7)الزمخشري، جار الله. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية، 2009، ج1، ص 47-90. وهو المرجع الأبرز في استكشاف الوجوه البلاغية والحجاجية للتركيب القرآني من منظور اعتزالي بلاغي أثّر في كثير من البلاغيين اللاحقين.

(8)الراغب الأصفهاني. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم، 2009، ص 655-680. ويكشف تحليله للمفردات المرتبطة بالقسم والشرط (آلى، أقسم، أوْلى، حلف، شرط، جزى) عن شبكة دلالية دقيقة تؤسّس للفهم الصحيح لوظائفها التركيبية والحجاجية.

(9)صولة، عبد الله. *الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. بيروت: دار الفارابي، 2007، ص 143-180. يُفرد الكتاب فصلاً كاملاً لبنية الشرط في القرآن، مُبيّناً كيف تنتقل أداة الشرط من وظيفة نحوية إلى بنية حجاجية ترتبط فيها القضية بجزائها ارتباط السبب بالمسبَّب.

(10)بوزيدة، حفيظة. *نظرية الحجاج عند أرسطو*. الجزائر: دار هومة، 2015، ص 78-110. ويُقارن الكتاب بين مفهوم الاستدلال القياسي عند أرسطو وبين البنية الاستدلالية للشرط القرآني، مُبيّناً وجوه التقاطع والاختلاف بين الإطارين النظريين.

(11)فان إيمرين، فرانس، وغروتندورست، روب. *نظرة شاملة في نظرية الحجاج*. ترجمة: حسان الباهي وعبد الكريم الحداد. الرباط: منشورات كلية الآداب، 2010، ص 56-98. ويُقدّم النموذج "التداولي-الجدلي" (Pragma-Dialectics) إطاراً ثميناً لفهم البنية الحجاجية الكاملة للخطاب، ومنه خطاب الشرط والقسم القرآني.

(12)عمر، أحمد مختار. *علم الدلالة*. القاهرة: عالم الكتب، 1998، ص 200-240. ويُقدّم هذا الكتاب تأصيلاً دلالياً لعلاقات التضمين والاستلزام في اللغة العربية، مما يُتيح فهماً أعمق لكيفية اشتغال دلالة الشرط والجزاء حجاجياً في بنية التركيب القرآني.

(13)أوستن، جون. *كيف ننجز الأشياء بالكلمات*. ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2006، ص 95-130. ومن منظور نظرية الأفعال الكلامية، يُمثّل القسم القرآني نموذجاً فريداً من "الإعلانيات" (Declarations) التي تُحدث الواقع الذي تصفه بمجرد التلفّظ بها في سياق السلطة المطلقة.

(14)ابن قيم الجوزية. *التبيان في أقسام القرآن*. تحقيق: طه يوسف شاهين. القاهرة: مكتبة دار التراث، 1988، ص 3-45. ويُعدّ هذا الكتاب المرجع الأفضل للتأصيل التراثي لوظائف القسم القرآني وأبعاده الحجاجية والعقدية.

(15)الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957، ج2، ص 234-256. ويُقدّم الزركشي في هذا الباب دراسةً مستفيضةً لأغراض القسم القرآني وأثره في التوكيد وقطع الشك عند المتلقي.

(16)الصولي، مصطفى. *الحجاج في القرآن الكريم*. بيروت: دار الطليعة، 2001، ص 73-105. ويُحلّل المؤلف في هذا الفصل أسلوب القسم تحليلاً يجمع بين مقاربة التراث البلاغي ومفاهيم الحجاج الحديث، مُقدّماً خلاصة نقدية تُبيّن تفرّد القسم القرآني في سياق خطابات التوكيد الكبرى.

(17)الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، 1992، ص 146-183. وتُمثّل نظرية الجرجاني في النظم الإطار المرجعي الأعمق لفهم وظيفة الجمل الاعتراضية والتضمينية في التركيب القرآني.

(18)ليفينسون، ستيفن. *التداولية*. ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: دار الثقافة، 2000، ص 195-230. يُعالج ليفينسون في هذا الفصل نظرية "الفعل غير المباشر" (Indirect Speech Act)، وهو ما يتجلّى في الجمل الاعتراضية القرآنية التي تحمل في بنيتها أفعالاً كلامية ضمنية لا تُصرَّح بها بل تُومأ إليها.

(19)فان ديك، تيون. *الخطاب والسلطة*. ترجمة: غيداء العلي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014، ص 112-155. يُحلّل فان ديك العلاقة بين بنى الخطاب وعلاقات القوة والسلطة، ومن هذه الزاوية يمكن تحليل الجمل الاعتراضية القرآنية بوصفها آليةً لفرض مقدّمات إقناعية على الفضاء الدلالي للخطاب دون أن تُجعل موضع نقاش أو جدل.

(20)طه، عبد الرحمن. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. الطبعة الثانية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000، ص 87-115. ويُناقش طه الربط الحجاجي بين الخطاب الإلهي والمتلقي البشري في إطار نظرية الحوار التي تُعلي من قيمة "الأثر التأثيري" للكلام على "بنيته الشكلية" وحسب.

(21)الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*، ص 150. وقد أفرد الجرجاني لأسلوب الالتفات بحثاً دقيقاً يكشف عن قيمته في تجديد النشاط الذهني للمتلقي وتوجيه طاقته التأملية نحو غايات جديدة.

(22)حمداوي، جميل. *اللسانيات التداولية*. الرباط: دار المعرفة، 2014، ص 88-120. ويُقدّم الكتاب تحليلاً لظاهرة الالتفات الأسلوبي من منظور تداولي، مُبيّناً كيف يُوظَّف انتقال الضمائر والأزمنة استراتيجيةً خطابية لإعادة تنشيط الانتباه وتعميق الأثر الحجاجي.

[23]ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*، ج1، ص 124-156. ويُقدّم ابن عاشور في تفسيره لسورة الفاتحة تحليلاً بديعاً لظاهرة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، مُبيّناً الأثر الوجداني والتكليفي الذي يترتّب على هذا الانتقال في نفس المتلقي.

[24]الشريف، لطيفة إبراهيم. *الحجاج والاستدلال البلاغي: دراسة تطبيقية على نصوص قرآنية*. تونس: مركز النشر الجامعي، 2013، ص 115-165. وتُقدّم الدراسة نماذج تحليلية معمّقة لأسلوب الالتفات والجمل الاعتراضية في القرآن من منظور حجاجي يجمع بين الموروث البلاغي والأطر التداولية المعاصرة.

[25]المزيني، حمزة. *الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق*. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 2010، ص 34-78. ويُقدّم الكتاب إطاراً تحليلياً لسياق الخطاب القرآني، مُبيّناً أن اختيار أدوات التوكيد والشرط والقسم ليس اعتباطياً بل هو مُوجَّه بمتطلبات سياق التلقّي وطبيعة الجمهور المُخاطَب.

[26]العلوي، حافظ إسماعيلي. *الحجاج مفهومه ومجالاته*. عمّان: عالم الكتب الحديث، 2010، ص 112-140. ويُقدّم المؤلف في هذا الفصل تحليلاً للربط المنطقي في الخطاب الحجاجي العربي، مُستأنساً بنماذج قرآنية وبلاغية.

[27]طه، عبد الرحمن. *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998، ص 130-155. يُناقش طه في هذا الكتاب مبدأ "التأثيل" (التأسيس التراثي) في مواجهة الأطر الغربية الوافدة، مُؤكّداً إمكان بناء مناهج عربية-إسلامية أصيلة في دراسة الحجاج تنهل من التراث البلاغي الغني دون أن تذوب في المناهج الغربية.

[28]الشهري، عبد الهادي بن ظافر. *استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص 155-200. ويُتناول في هذا الباب تحليل استراتيجية التوجيه والإلزام في الخطاب الديني وكيف تُجنِّد التركيبَ اللغوي خدمةً للغرض الإقناعي.

المحاضرة الثالثة عشرة: الحجاج في التركيب القرآني (الآليات والوجوه - 3)

مقدمة

تختتم هذه المحاضرة سلسلة الدراسات التركيبية للحجاج القرآني، بالتركيز على أساليب القصر، والوصل والفصل، والتكرار التركيبي، والبنية الحوارية، بالإضافة إلى التناسب المعجز بين مطالع السور وخواتيمها. إن هذه الوجوه تمثل قمة الإحكام التركيبي الذي يضمن وحدة الرسالة الحجاجية وتماسكها العضوي، مما يجعل النص القرآني بنية كلية متلاحمة تخدم غرض الإقناع والهداية.

المبحث الأول: أسلوب القصر (الحصر) وأثره الحجاجي

يعد القصر من أقوى الوسائل التركيبية لتحديد الحقيقة ونفي ما عداها، وهو أداة حجاجية حاسمة في مقام التوحيد والتشريع (1).

- **طرق القصر:** (النفي والاستثناء: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾)، (إنما: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾)، (تقديم ما حقه التأخير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾).
- **الوظيفة الحجاجية:** يهدف القصر إلى "إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه"، مما يقطع الطريق على أي تأويل أو إشراك، ويحصر الحجة في زاوية ضيقة لا تقبل الجدل.

المبحث الثاني: الوصل والفصل ودقة الربط

يتجلى إعجاز النظم في كيفية الربط بين الجمل (الوصل) أو ترك الربط (الفصل) بناءً على مقتضى الحجة (2).

- **الوصل:** يستخدم لربط الجمل المتلازمة في الحكم أو العلة (مثل: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾).
- **الفصل:** ويستخدم عندما تكون الجملة الثانية بياناً للأولى أو بدلاً منها، مما يمنحها قوة استقلالية تزيد من وقع الحجة (مثل: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾).

المبحث الثالث: التكرار التركيبي والإيقاع الحجاجي

يؤدي التكرار التركيبي (تكرار جمل أو صيغ معينة) وظيفة "التراكم الحجاجي"؛ فهو يرسخ الفكرة عبر الإيقاع والتأكيد المستمر (3).

- **تكرار الجملة الكاملة:** كما في سورة المرسلات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، لتجديد الوعيد عند كل حجة معروضة.
- **التوازي التركيبي:** تكرار بنية الجملة (مثل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ... وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾) لإبراز المقابلة الحجاجية بين المصيرين.

المبحث الرابع: البنية الحوارية في القرآن

يعد الحوار أسلوباً حجاجياً حياً يشرك المتلقي في العملية الإقناعية عبر عرض الآراء والرد عليها (4).

- **حوار الأنبياء مع أقوامهم:** (مثل حوار إبراهيم مع قومه ومع النمرود) لإثبات بطلان الشرك عبر "الاستدلال العقلي" و"التعجيز".
- **حوارات الآخرة:**(بين أهل الجنة وأهل النار) لتجسيد العاقبة وجعلها واقعاً مشهوداً يحفز على العمل.
تتميز هذه الحوارات بالوضوح المنطقي، والقدرة على "إفحام الخصم" بالحجة الدامغة.

المبحث الخامس: التناسب بين المطالع والخواتيم

يتحقق الإحكام الحجاجي للسورة من خلال التناسب الدقيق بين بدايتها ونهايتها، مما يخلق "وحدة حجاجية" متكاملة (5). فما يبدأ بالحمد ينتهي بذكر النعمة، وما يبدأ بالدعوة إلى التقوى ينتهي ببيان جزاء المتقين. إن هذا التناسب يضمن بقاء المتلقي في دائرة الغرض الحجاجي للسورة من أولها إلى آخرها.

خاتمة

إن الوجوه التركيبية للحجاج القرآني تؤكد أن النص ليس مجرد تجميع للجمل، بل هو بناء هندسي معجز يخدم غاية واحدة. إن تضافر القصر والوصل والتكرار والحوار والتناسب يخلق خطاباً يمتلك ناصية الإقناع المطلق، ويجعل من القرآن الكريم المرجع الأسمى في فنون الحجاج والبيان.

الهوامش

13 السكاكي، يوسف بن أبي بكر. *مفتاح العلوم*. تحقيق: نعيم زرزور. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، ص 312-345.

14 الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود محمد شاكر. (القاهرة: مطبعة المدني، 1992)، ص 143-183.

15 يوسف، محمد محمد. *خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، ص 234-389.

16 الرافعي، مصطفى صادق. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، ص 123-178.

17 الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957)، ج 1، ص 157.

المحاضرة الرابعة عشرة: الخصائص الحجاجية للصورة في القرآن الكريم

مقدمة

لا يقتصر الحجاج القرآني على الاستدلال العقلي المجرد، بل يوظف "الصورة البيانية" كأداة إقناعية فائقة التأثير؛ فالصورة تحول المعاني الذهنية إلى مشاهد حية تتحرك في خيال المتلقي، مما يمنح الحجة قوة "المشاهدة" بدلاً من مجرد "السماع". تسعى هذه المحاضرة إلى تحليل الخصائص الحجاجية للصورة القرآنية، وكيفية توظيف التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتمثيل في بناء خطاب إقناعي يجمع بين جمال الفن وقوة البرهان.

المبحث الأول: التصوير الفني كأداة حجاجية

يعد التصوير القاعدة الأساسية في التعبير القرآني؛ فهو يعبر عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، والحدث المحسوس بالصورة التي تمنحه حياة وحركة (1). إن الوظيفة الحجاجية للتصوير تكمن في قدرته على "تجسيد الغائب" و"تقريب البعيد"، مما يجعل الحقائق الغيبية (كالبعث والجنة والنار) حقائق ماثلة أمام البصيرة، وهو ما يسمى بـ "الإقناع عبر التخييل".

المبحث الثاني: الحجاج بالتشبيه والاستعارة

يمثل التشبيه والاستعارة في القرآن أدوات للمقارنة الحجاجية التي تبرز الفوارق أو التماثلات بين الأشياء (2):

18 **التشبيه الحجاجي:** (مثل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾)، حيث يهدف التشبيه إلى تقبيح حال من لا ينتفع بعلمه، وهي حجة دامغة تعتمد على "المفارقة" بين قيمة العلم وحال حامله.

19 **الاستعارة الحجاجية:** (مثل: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾)، حيث تنقل الاستعارة معنى الشيب من مجرد لون إلى "حريق" يلتهم السواد، مما يعزز حجة الضعف البشري والحاجة إلى الله.

المبحث الثالث: الكناية والتعريض الإقناعي

تؤدي الكناية وظيفة حجاجية عبر "اللطف في الخطاب" أو "المبالغة في الصفة" دون ذكرها صراحة (3).

- **الكناية عن الصفة:** (مثل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾) للتعبير عن البخل بصورة حسية منفرة، مما يدفع المتلقي لتبني خلق الكرم.
- **التعريض:** وهو توجيه الحجة بطريقة غير مباشرة تترك للمتلقي فرصة استنتاج النتيجة بنفسه، مما يجعل الاقتناع نابعاً من داخله وأكثر ثباتاً.

المبحث الرابع: الحجاج بالتمثيل (الأمثال القرآنية)

تعد الأمثال القرآنية من أقوى الوسائل الحجاجية؛ لأنها تنقل الحجة من مجال "المعقول" إلى مجال "المحسوس" الذي لا يختلف فيه اثنان (4).

- **أمثال التوحيد:** (مثل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾) لإثبات راحة التوحيد وشقاء الشرك عبر مثال اجتماعي مألوف.
- **أمثال الأعمال:** (مثل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾) لبيان ضياع جهد الكافر وبطلان حجته.

المبحث الخامس: المشاهد الحركية والتشخيص

يتميز التصوير القرآني بـــ "التشخيص" (Personification) ومنح الحياة للجمادات، و"الحركة" التي تجعل المشهد يتطور أمام العين (5). إن تحويل مشهد القيامة إلى أحداث متلاحقة (مثل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾) يهدف إلى إثارة "الرهبة الحجاجية" التي تدفع المتلقي للعمل والامتثال قبل فوات الأوان.

خاتمة

إن الصورة في القرآن ليست زينة لفظية، بل هي "برهان بصري" يخاطب الوجدان والعقل معاً. إن تضافر التشبيه والاستعارة والتمثيل والحركة يخلق بنية حجاجية معجزة تجعل من القرآن كتاباً يخاطب الإنسان بكليته، محققاً أقصى درجات التأثير والإقناع.

الهوامش

قطب، سيد. *التصوير الفني في القرآن*. (القاهرة: دار الشروق، 2004)، ص 45-189.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (بيروت: دار الجيل، 1993)، ص 123-345.

الرافعي، مصطفى صادق. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، ص 123-178.

الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة. *الأمثال في القرآن الكريم*. (دمشق: دار القلم، 2008)، ص 34-78.

يوادمح، جميل. *نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. (الرباط: مكتبة المثقف، 2014)، ص 234-289.

المحاضرة الخامسة عشرة: آفاق البحث في الحجاجيات (خاتمة المقياس)

مقدمة

تأتي هذه المحاضـــرة الختامية لتتوج مســـاراً معرفياً طويلاً بدأ من الجذور اليونانية والعربية للحجاج، وصولاً إلى النظريات المعاصرة والتطبيقات القرآنية .إن "الحجاجيات "ليست علماً منغلقاً، بل هي حقل معرفي متجدد يتقاطع مع علوم اللســـان، والنفس، والاجتماع، والذكاء الاصطناعي .تسعى هذه المحاضرة إلى استشراف الآفاق المستقبلية للبحث في هذا المجال، وتحديد الإشكاليات الكبرى التي لا تزال تنتظر إجابات علمية رصينة.

المبحث الأول :الحجاج والذكاء الاصطناعي

يمثل "الحجاج الحوســبي" أحد أبرز الآفاق المعاصـــرة، حيث يســـعى الباحثون إلى نمذجة الحجج البشـــرية برمجياً لتمكين الآلات من فهم الخطاب الإقناعي وتوليده (1). وتطرح هذه التقاطعات أسئلة جوهرية:

- هل يمكن للذكاء الاصطناعي محاكاة "البعد الوجداني" في الحجاج؟
- كيف يمكن توظيف "مخططـات الحجـاج (Argumentation Schemes) "في تـــطـــويـــر أنـــظـــمـــة دعـــم الـــقـــرار؟

إن هذا المسار يفتح الباب أمام دراسات بينية تجمع بين المنطق الصوري واللسانيات الحوسبية.

المبحث الثاني: الحجاج والتحليل النقدي للخطاب

يرتبط الحجاج ارتباطاً وثيقاً بـــ "السلطة" و"الأيديولوجيا"؛ فالحجة ليست دائماً بريئة، بل قد تكون أداة للهيمنة أو التضـــليل (2). تبرز هنا أهمية "التحليل النقدي للحجاج" الذي يكشـــف عن المغالطات المنطقية والاســـتراتيجيات الخطابية المســـتخدمة في الخطاب الســـياســـي والإعلامي المعاصر، مما يساهم في بناء "وعي حجاجي" لدى الجمهور يحميه من التلاعب.

المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات القرآنية المعاصرة

رغم الثراء الكبير في التراث البلاغي العربي، إلا أن الحجـاج القرآني لا يزال بحـاجـة إلى مقـاربـات "تـداوليـة" و"معرفيـة" حـديثـة (3). إن توظيف نظريـات مثـل "الملاءمـة" (Relevance Theory)أو "الأفعال الكلامية" في دراســـة النص القرآني يتيح اكتشـــاف

أبعاد إعجازية جديدة تتعلق بكيفية مخاطبة القرآن للعقل البشري وتوجيه سلوكه عبر العصور.

المبحث الرابع: الحجاج والتربية على المواطنة

تعد "التربية الحجاجية" ضرورة في المجتمعات الديمقراطية؛ فهي تعلم الأفراد كيفية الاختلاف بوعي، وكيفية بناء الحجج الرصينة والرد على حجج الآخرين بعيداً عن العنف أو التعصب (4). إن إدماج الحجاجيات في المناهج التعليمية يساهم في تطوير "التفكير النقدي" و"ثقافة الحوار"، مما يعزز السلم الاجتماعي والتعايش السلمي.

المبحث الخامس: نحو نظرية عربية معاصرة للحجاج

يبقى الطموح الأكبر هو بناء "نظرية حجاجية عربية" تستفيد من المنجز الغربي المعاصر دون أن تنفصل عن خصوصيات اللغة العربية وتراثها البلاغي والمنطقي العريق (5). إن إعادة قراءة أعمال الجرجاني، والسكاكي، وابن رشد برؤية حجاجية معاصرة يمثل خطوة أساسية نحو تأصيل هذا العلم في البيئة العربية.

خاتمة

إن دراسة الحجاجيات هي دعوة لإعادة الاعتبار للعقل والكلمة في التواصل البشري. لقد رأينا كيف أن الحجاج هو جوهر الفكر الإنساني، وأنه في القرآن الكريم يبلغ ذروة الإحكام والبيان. نأمل أن تكون هذه المحاضرات قد وضعت اللبنات الأساسية لفهم هذا العلم، وحفزت الباحثين على مواصلة التنقيب في كنوزه المعرفية.

الهوامش

1.والتون، دوغلاس. *مخططات الحجاج للاستدلال الافتراضي*. (نيوجيرسي: لورانس إيرلبوم، 1996)، ص 1-69.

2.فان ايمرين، فرانس، وغروتندورست، روب. *الحجاج والتواصل والمغالطات: منظور تداولي جدلي*. (نيوجيرسي: لورانس إيرلبوم، 1992)، ص 1-18.

3.صولة، عبد الله. *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. (تونس: دار المعرفة، 2001)، ص 15-89.

4.بلانتين، كريستيان. *الحجاج*. (باريس: منشورات سوي، 1996)، ص 10-45.

5.العمري، محمد. *في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية*. (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2002)، ص 67-134.

المحاضرة السادسة عشرة: امتحان تقييم المعارف المكتسبة

تقديم

بعد استكمال المحاضرات النظرية والتطبيقية في مقياس الحجاجيات، تأتي هذه الجلسة الختامية لتقييم المعارف المكتسبة لدى الطلبة. والغرض من هذا الامتحان هو قياس مدى استيعاب الطلبة للمفاهيم النظرية، وقدرتهم على تطبيقها في تحليل النصوص الحجاجية، وخاصة النص القرآني.

محاور الامتحان

يُبنى الامتحان على محورين رئيسين:

المبحث الأول: الأسئلة النظرية (40%)

تهدف إلى قياس الفهم النظري للمفاهيم الحجاجية.

نماذج من الأسئلة:

1. عرّف الحجاج لغةً واصطلاحًا، واذكر الفرق بينه وبين البرهان والإقناع.
2. ما الفرق بين الحجاج المنطقي والحجاج البلاغي والحجاج التداولي؟ أعط مثالًا على كل نوع.
3. اشرح نموذج تولمين الحجاجي مع توضيح عناصره الستة.
4. ما المقصود بالسلم الحجاجي عند ديكرو؟ وما وظيفته؟
5. عدّد أنواع الجمهور عند بيرلمان، واشرح أهمية مفهوم الجمهور في نظريته.
6. ما الفرق بين الواقعيات والمفضليات في نظرية بيرلمان؟
7. اذكر ثلاثة تحيزات معرفية تؤثر في الحجاج، مع التمثيل.
8. كيف ساهم التراث العربي الإسلامي في تطوير نظرية الحجاج؟ اذكر ثلاثة أعلام مع إسهاماتهم.
9. ما الفرق بين القوة الإنجازية والقوة الحجاجية للملفوظ؟
10. عرّف الخطاب المتعدد الوسائط، واذكر ثلاثة آليات حجاجية في الصورة.

المبحث الثاني: التحليل التطبيقي (60%)

يهدف إلى قياس القدرة على تطبيق المفاهيم في تحليل النصوص.

نماذج من الأسئلة التطبيقية:

السؤال الأول: تحليل معجمي وتركيبي

النص القرآني: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (سورة الماعون)

المطلوب:

1. حدد الأطروحة الأساسية للسورة.
2. حلل التقابلات المعجمية الواردة في النص.
3. بيّن وظيفة الاستفهام في الآية الأولى.
4. اشرح البنية الحجاجية للربط بين التكذيب بالدين والسلوكات المذكورة.
5. ما الوظيفة الحجاجية للفظة "ويل"؟

السؤال الثاني: تحليل الصورة البيانية

النص القرآني:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة)

المطلوب:

1. حدد نوع الصورة البيانية في الآية.
2. من المشبّه ومن المشبّه به؟ وما وجه الشبه؟
3. حلل الحركة الدرامية في الصورة (استيقاد النار، إضاءتها، ذهاب النور).
4. ما الوظيفة الحجاجية لاستعارة النور والظلمات؟
5. اشرح دلالة "صم بكم عمي" في السياق الحجاجي.

السؤال الثالث: تحليل شامل

النص القرآني:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر)

المطلوب:

1. حلل البنية الحجاجية الكاملة للسورة (القسم، الأطروحة، الاستثناء).
2. ما الوظيفة الحجاجية للقسم بالعصر؟
3. حلل أدوات التوكيد الواردة في السورة.
4. ما دلالة التنكير في "خسر"؟
5. بيّن الترابط المنطقي بين الشروط الأربعة للنجاة من الخسران.
6. كيف تتكامل المستويات المعجمية والتركيبية والبلاغية لتحقيق الإقناع في هذه السورة؟

معايير التقييم: يُقيّم أداء الطالب بناءً على:

1. **الدقة المفاهيمية** :(20%)استخدام المصطلحات بدقة وفهم صحيح للمفاهيم.
2. **القدرة التحليلية** :(30%)القدرة على تفكيك النص وتحليل عناصره الحجاجية.
3. **الربط بين النظرية والتطبيق** :(25%)توظيف المفاهيم النظرية في التحليل التطبيقي.
4. **التنظيم والوضوح** :(15%)تنظيم الإجابة وسلامة اللغة ووضوح التعبير.

5. **العمق والإبداع** :(10%)القدرة على تقديم تحليل عميق ورؤية شخصية مؤسسة.

نصائح للطلبة

1. **راجع المفاهيم الأساسية** :تأكد من فهمك الجيد للمفاهيم النظرية الرئيسة.
2. **تدرب على التحليل** :حلل نصوصًا قرآنية وغير قرآنية باستخدام الأدوات المنهجية المكتسبة.
3. **اربط بين المحاضرات** :المقياس متكامل، فاربط بين النظريات والتطبيقات.
4. **اهتم بالدقة** :الدقة في استخدام المصطلحات والتحليل ضرورية.
5. **نظّم إجابتك** :اكتب بشكل منظم ومنطقي، مع مقدمة وعرض وخلاصة.

خلاصة ختامية للمقياس

لقد قطعنا معًا رحلة معرفية عبر الحجاجيات، من أسسها النظرية في الفكر اليوناني والعربي الإسلامي، إلى النظريات الحديثة والمعاصرة، ومن المستوى المعجمي إلى التركيبي إلى البلاغي في النص القرآني. وقد تبين لنا أن الحجاج ليس مجرد تقنية لغوية، بل نشاط فكري إنساني يجمع بين العقل والوجدان، وأن القرآن الكريم يمثل ذروة الخطاب الحجاجي بتوظيفه المحكم لكل مستويات اللغة وطاقاتها.

نأمل أن تكون هذه المعارف قد أثرت رصيدكم المعرفي والمنهجي، وأكسبتكم القدرة على قراءة النصوص قراءة تحليلية عميقة، وفهم آليات الإقناع في الخطابات المختلفة. وفقكم الله في الامتحان وفي مساركم الأكاديمي.

خاتمة البرنامج الأكاديمي

بهذا نكون قد أتممنا برنامج مقياس **الحجاجيات** المتكامل، الذي شمل خمس عشرة محاضرة غطت الأسس النظرية والتطبيقية لهذا الحقل المعرفي الخصب. وقد سعينا إلى تحقيق التوازن بين:

- **التأصيل النظري** :من أرسطو إلى النظريات المعاصرة.
- **التراث العربي الإسلامي** :الذي أثرى الحقل بإسهامات نوعية.
- **التطبيق المنهجي** :خاصة على النص القرآني بمستوياته المتعددة.
- **الانفتاح على المعاصرة** :بدمج العلوم المعرفية والخطاب المتعدد الوسائط.

نأمل أن يكون هذا البرنامج قد حقق أهدافه التعليمية، وأن يكون الطلبة قد اكتسبوا:

- **معرفة نظرية** متينة بالحجاجيات.
- **مهارة تحليلية** في مقاربة النصوص الحجاجية.
- **وعيًا نقديًا** بآليات الإقناع في الخطابات المعاصرة.
- **تقديرًا عميقًا** للبعد الحجاجي في القرآن الكريم.

والله الموفق والمستعان.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

1 **ابن عاشور، محمد الطاهر.** *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.

2 **ابن قيم الجوزية.** *التبيان في أقسام القرآن*. تحقيق: طه يوسف شاهين. القاهرة: مكتبة دار التراث، 1988.

3 **أبو عبيدة، معمر بن المثنى** .*مجاز القرآن* .تحقيق :محمد فؤاد سيزكين .القاهرة :مكتبة الخانجي، 1962، ج 1.

4 **الجرجاني، عبد القاهر** .*دلائل الإعجاز* .تحقيق :محمود محمد شاكر .القاهرة :مطبعة المدني، 1992.

5 **الراغب الأصفهاني** .*المفردات في غريب القرآن* .تحقيق :صفوان عدنان داوودي .دمشق :دار القلم، 2009.

6 **الزركشي، بدر الدين.** *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957.

7 **الزمخشري، جار الله.** *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2009.

8 **السكاكي، يوسف بن أبي بكر** .*مفتاح العلوم* .تحقيق :نعيم زرزور .بيروت :دار الكتب العلمية، 1987.

9 **السيوطي، جلال الدين.** *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، 2003.

المراجع العربية الحديثة والمترجمة

أوستن، جون. *كيف ننجز الأشياء بالكلمات*. ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2006.

بارت، رولان. "بلاغة الصورة". في *صورة، موسيقى، نص*. ترجمة: ستيفن هيث. نيويورك: هيل ووانغ، 1977، ص 32-51.

بارت، رولان. *أسطوريات*. ترجمة: إبراهيم الخطيب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1996.

بارت، رولان. *غرفة مضيئة: تأملات في الفوتوغرافيا*. ترجمة: ماثيو وارد. نيويورك: هيل ووانغ، 1981.

بلانتين، كريستيان .*الحجاج* .باريس :منشورات سوي، 1996.

بوزيدة، حفيظة. *نظرية الحجاج عند أرسطو*. الجزائر: دار هومة، 2015.

بيرلمان، شاييم، وأولبرخت-تيتيكا، لوسي. *معالجة الحجة: البلاغة الجديدة*. ترجمة: محمد صالح الجابري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.

حمداوي، جميل. *اللسانيات التداولية*. الرباط: دار المعرفة، 2014.

ديكرو، أوسفالد، وأونزو، جان-كلود. *الحجاج في اللغة*. ترجمة: عبد الله صولة. صفاقس: دار المحيط، 2012.

الرافعي، مصطفى صادق .*إعجاز القرآن والبلاغة النبوية* .بيروت :دار الكتاب العربي، 1973.

سبربر، دان، ووِيلسون، ديردري .*الملاءمة :التواصل والإدراك* .ترجمة :مجموعة باحثين .أكسفورد :بلاكويل،

سيرل، جون روجرز. *الأفعال الكلامية*. ترجمة: محمد الشيباني. بيروت: دار الطليعة، 1986.

سوسير، فرديناند دو. *محاضرات في اللسانيات العامة*. ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر. بيروت: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1985.

الشريف، لطيفة. *الحجاج والاستدلال البلاغي*. تونس: مركز النشر الجامعي، 2013.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. *استراتيجيات الخطاب*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

صولة، عبد الله. *الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. بيروت: دار الفارابي، 2007.

طه، عبد الرحمن. *اللسان والميزان*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998.

طه، عبد الرحمن. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.

العلوي، حافظ إسماعيلي. *الحجاج مفهومه ومجالاته*. عمّان: عالم الكتب الحديث، 2010.

عمر، أحمد مختار. *علم الدلالة*. القاهرة: عالم الكتب، 1998.

العمري، محمد. *في بلاغة الخطاب الإقناعي :مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية*. الدار البيضاء :

غرايس، هيربرت بول. "المنطق والمحادثة". في: *بناء اللغة*. ترجمة: سيف الدين دغفوس. تونس: دار المعرفة، 2010.

فان إيميرن، فرانس، وغروتندورست، روب. *نظرة شاملة في نظرية الحجاج*. ترجمة: حسان الباهي. الرباط: منشورات كلية الآداب، 2010.

فان ديك، تيون. *الخطاب والسلطة*. ترجمة: غيداء العلي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014.

قطب، سيد. *التصوير الفني في القرآن*. القاهرة :دار الشروق، 2004.
كانيمان، دانيال. *التفكير، بسرعة وببطء*. نيويورك :فارار، ستراوس وجيرو، 2011.
كريس، غونتر، وفان ليوين، ثيو. *قراءة الصور :قواعد التصميم البصري*. لندن :روتليدج، 2006.
ليفينسون، ستيفن. *التداولية*. ترجمة: عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: دار الثقافة، 2000.

المزيني، حمزة. *الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق*. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 2010.

المهباني، عبد الحميد. *الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم*. دمشق :دار القلم، 2004.
الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة. *الأمثال في القرآن الكريم*. دمشق :دار القلم، 2008.
الهاشمي، أحمد. *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. بيروت :المكتبة العصرية، 2004.
يوادمح، جميل. *نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. الرباط :مكتبة المثقف، 2014.
يوسف، محمد محمد. *خصائص التراكيب :دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. القاهرة :مكتبة وهبة، 1996.

المراجع الأجنبية:

Barthes, Roland. "Rhetoric of the Image." In *Image, Music, Text*, translated by Stephen Heath. New York: Hill and Wang, 1977.

Birdsell, David S., and Leo Groarke. "Toward a Theory of Visual Argument." *Argumentation and Advocacy* 33, no. 1 (1996).

Bourdieu, Pierre. *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste*. Translated by Richard Nice. Cambridge: Harvard University Press, 1984.

Cassidy, Anne. *The Digital Public Sphere and Deliberative Democracy*. Chicago: University of Chicago Press, 2018.

Davies, Todd, and Steven Modica. *Digital Storytelling in Video and Social Media*. New York: Routledge, 2018.

Field, Barry, and Mark Field. *Algorithms and Public Opinion: How Social Media Platforms Shape Beliefs*. Oxford: Oxford University Press, 2022.

Halliday, Michael A. K. *An Introduction to Functional Grammar*. London: Arnold, 1985.

Johnson-Laird, Philip N. *Mental Models: Towards a Cognitive Science of Language, Inference, and Consciousness*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1983.

Kahneman, Daniel, and Amos Tversky. "Judgment under Uncertainty: Heuristics and Biases." *Science* 185, no. 4157 (1974).

Kress, Gunther, and Theo van Leeuwen. *Reading Images: The Grammar of Visual Design*. London: Routledge, 2006.

Kress, Gunther. *Multimodality: A Social Semiotic Approach to Contemporary Communication*. London: Routledge, 2010.

Maier, Richard. *Multimedia Learning*. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.

McLuhan, Marshall. *The Medium is the Message*. New York: McGraw-Hill, 1967.

Panofsky, Erwin. *Studies in Iconology*. New York: Harper and Row, 1962.

Perelman, Chaïm, and Lucie Olbrechts-Tyteca. *The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation*. Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1969.

Phillips, Barbara J., and Edward F. McQuarrie. "Beyond Visual Metaphor: A New Typology of Visual Rhetoric in Advertising." *Marketing Theory* 4, no. 1-2 (2004).

Seifart, Christian. *Infografik: Informationsvisualisierung*. Berlin: TU Berlin Press, 2014.

Simon, Herbert A. "A Behavioral Model of Rational Choice." *Quarterly Journal of Economics* 69, no. 1 (1955).

Sontag, Susan. *On Photography*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1977.

van Dijk, Teun. *Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*. 2 vols. London: Blackwell, 2011.

van Eemeren, Frans H., and Rob Grootendorst. *Argumentation, Communication, and Fallacies: A Pragma-Dialectical Perspective*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1992.

Vauquial, George, and Mark Johnson. *Metaphors We Live By*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Walton, Douglas. *Argumentation Schemes for Presumptive Reasoning*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, 1996.

فهرس الموضوعات

Contents

تصور عام للمقياس 2
تقديم المقياس 2
الأهداف التعليمية 2
الكفاءات المنتظرة 2
المحاضرة الأولى: الأسس النظرية للحجاجيات 1
مقدمة 1
المبحث الأول: تعريف الحجاج ومفهومه 1
المبحث الثاني: عناصر الموقف الحجاجي 5
المبحث الثالث: وظائف الحجاج 7
المبحث الرابع: أنواع الحجاج 7
المبحث الخامس: أمثلة توضيحية 8
خاتمة 10
الهوامش 10
المحاضرة الثانية: الحجاج عند أرسطو وتطوره في العصور الوسطى والحديثة 11
المبحث الأول: الحجاج عند أرسطو 11
المبحث الثاني: الحجاج في العصور الوسطى 13
المبحث الثالث: الحجاج في العصر الحديث 14
المبحث الرابع: أمثلة توضيحية على الحجاج الأرسطي 16
الهوامش: 17
المحاضرة الثالثة: الحجاج في التراث العربي والإسلامي 20
(الجاحظ، ابن وهب، عبد القاهر الجرجاني) 20
مدخل مفاهيمي 20
المبحث الأول:السياق العام للفكر البلاغي العربي 20
المبحث الثاني:الجاحظ (159–255هـ / 776–869م): رائد البيان والحجاج 21
المبحث الثالث:ابن وهب الكاتب (ت. 335هـ / 947م): البرهان في وجوه البيان 26
المبحث الرابع: عبد القاهر الجرجاني (400–471هـ / 1009–1078م): نظرية النظم والإعجاز الحجاجي 28
المبحث الخامس: مقارنة تركيبية 32
المبحث السادس: أمثلة تطبيقية شاملة 32
المبحث السابع: خلاصة المحاضرة 34
الهوامش 34
المحاضرة الرابعة: النظريات الحديثة في الحجاج 36
مقدمة 36
المبحث الأول: أسباب تجدد الاهتمام بالحجاج 36

المبحث الثاني: نظرية ستيفن تولمين(Stephen Toulmin) 36
المبحث الثالث: نظرية الحجاج في اللغة (أنسكومبر وديكرو) 37
المبحث الرابع: نظرية الأفعال الكلامية (أوستين وسيرل)..... 38
المبحث الخامس: أمثلة توضيحية 38
خاتمة..... 39
الهوامش: 39
المحاضرة الخامسة: الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا 41
مقدمة 41
المبحث الأول: السياق التاريخي والفلسفي..... 41
المبحث الثاني: مفهوم الجمهور(Auditoire) 41
المبحث الثالث: موضوعات الاتفاق..... 42
المبحث الرابع: تقنيات الحجاج..... 43
المبحث الخامس: قوة الحجج وترتيبها 44
المبحث السادس: أمثلة توضيحية 44
خاتمة..... 44
الهوامش 45
المحاضرة السادسة: الحجاج في اللسانيات التداولية 46
مقدمة 46
المبحث الأول: التداولية – تعريف ومجالات 46
المبحث الثاني: نظرية الحجاج في اللغة (أنسكومبر وديكرو) 46
المبحث الثالث: مبدأ التعاون ومسلمات غرايس 47
المبحث الرابع: أفعال الكلام والحجاج..... 48
المبحث الخامس: نظرية الملاءمة (سبيربر وويلسون)..... 48
المبحث السادس: أمثلة توضيحية 49
خاتمة..... 49

الهوامش:..... 49
المحاضرة السابعة: الحجاج والعلوم المعرفية (مقاربة إبستمولوجية) 51
مقدمة 51
المبحث الأول :الحجاج بوصفه عملية معرفية..... 51
المبحث الثاني :نظرية العقلانية المحدودة (Bounded Rationality)..... 51
المبحث الثالث :التحيزات المعرفية وأثرها في الحجاج 51
المبحث الرابع :نظرية النماذج الذهنية والاستعارة المفاهيمية 52
المبحث الخامس :الحجاج الحواري (Douglas Walton) 52
خاتمة..... 52
الهوامش: 52
المحاضرة الثامنة: الحجاج والخطاب متعدد الوسائط (الآليات والفاعلية) 54

مقدمة 54
المبحث الأول: مفهوم الخطاب متعدد الوسائط 54
المبحث الثاني :الحجاج بالصورة (Visual Argumentation) 54
المبحث الثالث :التفاعل بين اللغة والصورة 55
المبحث الرابع :الحجاج في الإعلان والإنفوجرافيك 55
المبحث الخامس: الحجاج في الفيديو ووسائل التواصل الاجتماعي 55
خاتمة 55
الهوامش: 55
المحاضرة التاسعة: الحجاج في المعجم القرآني (الخصائص والآليات – 1) 57
المبحث الأول: مقدمة إشكالية 57
المبحث الثاني: الإطار النظري – المدارس المرجعية والمفاهيم الأساسية 57
المبحث الثالث :التحليل المفاهيمي – خصائص المفردة القرآنية الحجاجية 58
المبحث الرابع: التقابل المعجمي وبنية الحجة الثنائية 59
المبحث الخامس: التكرار المعجمي الوظيفي – حجاج الإلحاح والتثبيت 60
المبحث السادس: الأفعال الكلامية القرآنية وقوتها الإنجازية 61
المبحث السابع: الحقول الدلالية الحجاجية وبنية الدليل 61
المبحث الثامن: مناقشة نقدية – حدود المنهج وآفاق الدراسة 62
المبحث التاسع: خاتمة تركيبية 62
الهوامش: 63
المحاضرة العاشرة: الحجاج في المعجم القرآني (الخصائص والآليات – 2) 65
مقدمة 65
المبحث الأول :الفروق الدلالية الدقيقة وأثرها الحجاجي 65
المبحث الثاني: دلالات الاشتقاق الصرفي 65
المبحث الثالث: الأسماء والصفات الإلهية كحجج ختامية 66
المبحث الرابع: دلالات الأزمنة الفعلية 66
المبحث الخامس: التجسيد والزاجز المعجمي 66
خاتمة 66
الهوامش 66
المحاضرة الحادية عشرة: الحجاج في التركيب القرآني (الآليات والوجوه – 1) 69
مقدمة 69
المبحث الأول: التقديم والتأخير وأثره الحجاجي 69
المبحث الثاني: الذكر والحذف الوظيفي 69
المبحث الثالث: التعريف والتنكير ودلالاتهما الحجاجية 69
المبحث الرابع: الأساليب الإنشائية الحجاجية 70
المبحث الخامس: الالتفات التركيبي 70
خاتمة 70
الهوامش 70

المحاضرة الثانية عشرة 72
مقدمة: التركيب القرآني بوصفه هندسةً حجاجية 72
المبحث الأول: أساليب التوكيد وأثرها الحجاجي 73
المبحث الثاني: بنية الشرط والربط السببي–الحجاجي 74
المبحث الثالث: القسم الحجاجي وأبعاده الإقناعية 76
المبحث الرابع: الجمل الاعتراضية والوظيفة الحجاجية التكميلية 78
المبحث الخامس: الالتفات وتجديد النشاط الذهني والحجاجي 79
المبحث السادس: تكامل الأساليب الحجاجية في النسيج التركيبي القرآني 80
خاتمة: نحو فهم أعمق لهندسة الإقناع القرآني 81
الهوامش: 82
المحاضرة الثالثة عشرة: الحجاج في التركيب القرآني (الآليات والوجوه – 3) 85
مقدمة 85
المبحث الأول: أسلوب القصر (الحصر) وأثره الحجاجي 85
المبحث الثاني: الوصل والفصل ودقة الربط 85
المبحث الثالث: التكرار التركيبي والإيقاع الحجاجي 85
المبحث الرابع: البنية الحوارية في القرآن 86
المبحث الخامس: التناسب بين المطالع والخواتيم 86
خاتمة 86
الهوامش 86
المحاضرة الرابعة عشرة: الخصائص الحجاجية للصورة في القرآن الكريم 89
مقدمة 89
المبحث الأول: التصوير الفني كأداة حجاجية 89
المبحث الثاني: الحجاج بالتشبيه والاستعارة 89
المبحث الثالث: الكناية والتعريض الإقناعي 89
المبحث الرابع: الحجاج بالتمثيل (الأمثال القرآنية) 90
المبحث الخامس: المشاهد الحركية والتشخيص 90
خاتمة 90
الهوامش 90
المحاضرة الخامسة عشرة: آفاق البحث في الحجاجيات (خاتمة المقياس) 92
مقدمة 92
المبحث الأول :الحجاج والذكاء الاصطناعي 92
المبحث الثاني: الحجاج والتحليل النقدي للخطاب 92
المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات القرآنية المعاصرة 92
المبحث الرابع: الحجاج والتربية على المواطنة 93
المبحث الخامس: نحو نظرية عربية معاصرة للحجاج 93
خاتمة 93
الهوامش 93

المحاضرة السادسة عشرة: امتحان تقييم المعارف المكتسبة 95
تقديم..... 95
محاور الامتحان..... 95
معايير التقييم: يُقيّم أداء الطالب بناءً على: 96
نصائح للطلبة 97
خلاصة ختامية للمقياس 97
خاتمة البرنامج الأكاديمي..... **97**
قائمة المصادر والمراجع **99**
المراجع العربية **99**
المراجع العربية الحديثة والمترجمة..... **99**
المراجع الأجنبية: **100**
فهرس الموضوعات **104**